وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

البعد الفلسفي لابن حزم من خلال كتابة طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والآلاف

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في فلسفة عامة

من إعداد الطالبة :
دعلوس عرعارة إيمان

إشراف الأستاذ الدكتور :
طيبي الميلود

اعضاء لجنة المناقشة

د/ علة مختار..... رئيسا

د/ طيبي الميلود ..... مشرفا ومقرر

لاكلي حنان .....مناقشة

السنة الجامعية : 2020-2021

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

أحمد وأشكر المولى القادر العليم الرازق الرحيم، الذي من علي بالرزق من العلم ما لم أكن أعلم ومدني بالقوة الكافية والمقدرة الوافية لأصل لهذا المستوى وأتم عملي المتواضع البسيط هذا إلى نهايته بحمده وحوله وتوفيقه ومصداقا وعملا لقوله – صلى الله عليه وسلم – : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " من واجبي إسداء الشكر العميق إلى الأستاذ الدكتور المشرف : طيبي الميلود على مجهوداته المبذولة وصبره معي من أجل إنجاز وإتمام هذه المذكرة

وعرفانا بالجميل أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتورة الفاضلة بن شيخ أسماء التي لم تبخل علي بالدعم والمساعدة وأنا في أمس الحاجة إليها وإلى الأستاذة التي أحاطتني بالتفاؤل دائما خالدي حياة

وكذا الشكر موصول بالامتنان والحب إلى الطالبة مداح أمال التي وقفت دائما إلى جنبي طوال مشواري الدراسي ولم تبخل عني بأي شيء

كما لا أنسى أن أشكر اللذان كانا الظهر السند أخواي حسن ولخضر

كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في هذا العمل

إلى كل هؤلاء أقدم شكري الذي لا ينقصه سوى عجز الكلمات

فالله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه

وشكرا للجميع.

إهداء

إليكما يا من حق في أمركما قوله تعالى : " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة"

إلى من قال فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " أمك ثم أمك ثم أمك ..." إلى الروح التي علمتني معنى العطاء عملا وسلوكا وغذتني من لبنها قناعة وسماحة وصبرا إلى التي تعلمت منها العفو عن المسيء والرضا بالقليل... إلى من تحمل أعذب كلمة ينطق بها اللسان لأول مرة ، ويحي بها القلب ، قرة العين ... أمي الرائعة رحمها الله

أمي .... رحمك الله واعتذر عن أف فعل وأف كلم يا كل قربي وكل رحم....

إلى من قال فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " .... ثم أبوك" .... إلى الذي رعاني بصلواته وشجعني على النجاح ..... وعلمني معنى الصبر والقناعة والكد والمثابرة ..... إلى والدي الحبيب .... جزاه الله عني كل خير

إلى اخوتي الأعزاء وأخواتي الغاليات وإلى كل من عرفني وساعدني من قريب أو من بعيد

أهدي من كل قلبي ثمرة دراستي وعملي المتواضع هذا ....

دعلوس عرعارة ايمان

" صورة وطن الناس فيه جميعا يتذوقون الحب "

طه حسين

مقدمة

مقدمة:

إن البحث في العلاقات الإنسانية وأحاسيس البشر في عمقه هو بحث فلسفي يمس الجانب الانساني في الإنسان فهو من أهم المسائل المدروسة، حيث أن هذا العالم يعج بالأسئلة عن حقيقة الحب بين الناس وما يحمله الإنسان من هذه المشاعر ، ذلك أن الحب من أهم المساءل والإشكاليات التي تطرحها الفلسفة.

إن الملاحظ والباحث في هذا المجال يرى توجه الفلسفة البالغ الأهمية نحو هذا الموضوع، فهو قديم قدم الفكر اليوناني الذي درس الحب بين العالم العلوي والأرضي مبرزا محل الإنسان بين ذلك وذلك.

وقد سارت فكرة الحب بين العقل و العقيدة ، فهي في الأصل موقف من ديناميكية الحياة، فقد دفعني التساؤل عن موقع فكرة الحب ومنبعه في حياة المسلمين إلى البحث في هذه الظاهرة عندهم من جانبها الفلسفي كونها في الأصل فكرة فلسفية، وقادنا هذا التساؤل إلى أن نختار شخصية الإمام الفيلسوف ابن حزم الأندلسي كوجه بارز في تاريخ الفكر الإسلامي، كونها شخصية تطرقت لهذا الموضوع بشكل متميز بدراسة تحليلية نظر إليها بمنظار فريد من نوعه جعله محل نقد داخل مجتمعه.

فابن حزم حمل هموم شتى فهو صاحب الاهتمامات المتداخلة بين الفلسفة والأدب والتاريخ والفقه والسياسة لدرجة يصعب الفصل بينهما، حصرها في رسالة " طوق الحمامة في الألفة والآلاف" هذه الرسالة التي فيها تسرب يوناني يوضح التداخل بين الفكرة الأفلاطونية والتجربة الحزمية فهي ترجمة ذاتية تصور حياة صاحبنا المجسدة في حديثه عن نفسه اعترافاته وعن مجتمعه بشكل صريح ، فيها تقاطع مع أدب اليوميات ، جمع طياتها بين التدقيق الفلسفي والتحري التاريخي والإبداع الأدبي بتوجه ديني، كان له التأهل الثقافي إلى زمن اللحظة، تظهر حديثا عن الحياة الفكرية رغبة في اتخاذ موقف شخصي من الحياة.

إن طبيعة الرسالة التي تقوم باسترجاع الأحداث اعتمادا على الذاكرة وما تختزنه من حمولات تاريخية واجتماعية وحالات نفسية ورؤى جمالية معينة ، فرسالته متعددة المشارب أشبهما تكون بباب متعدد الأقفال لا يفتح إلا بمفاتيح متعددة.

فرعينا في دراستنا لها ظروف الدراسة الأكاديمية وأسسها المنهجية ففرض علينا هذا الأمر اللجوء لأسلوب المقارنة بين آراء ابن حزم وبعض التصورات النفسية (كأمثال المدرسة التحليلية) والاجتماعية والفلسفية الحديثة، مبتعدين جهد الإمكان عن الإسقاطات الذاتية والأحكام المسبقة، وبنينا استنتاجاتنا وأحكامنا على المعطيات التي تقدمها نصوص الرسالة، مدعمين ذلك ببعض النصوص القديمة أو الحديثة

بهدف الحفاظ على الأمانة العلمية وكانت دراستنا من خلال الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والنفسية التي أنجبت الجانب الفلسفي في الرسالة لأن الهدف الأساسي من بحثنا هو تقديم دليل علمي على حضور الفكر الفلسفي وتميزه بخصوصية زمكنية في فكرنا الأندلسي الذي هو جزء مهم من الفكر العربي الإسلامي

ويرجع اختياري لهذا الموضوع للأسباب التالية:

-إلى الرغبة كامنة في نفسي للتعرف على النواحي العلمية المتنوعة لهذه الشخصية العبقرية المتميزة

-ندرة الدراسات المنصبة على البعد الفلسفي لكتابات ابن حزم وخاصة رسالة " طوق الحمامة" هذا الجانب من الدراسات ظل قابعا في زوايا النسيان.

-تسرع بعض المستشرقين والكتاب الأسبان في الحكم على كتابات ابن حزم خاصة " طوق الحمامة" وجعلها مطية لضرب الجانب العقائدي.

-إعطاء الصبغة الحقيقية لدوافع كتابة الرسالة خاصة الجانب العلمي.

من هذا حاول بحثنا المتواضع تقديم صورة واضحة عن حضور الجانب الفلسفي من خلال هذه الرسالة " طوق الحمامة" ، فجاءت هذه الدراسة المتواضعة في ثلاث فصول.

خصصنا الفصل الأول إبراز أبعاد شخصية ابن حزم وعلاقتها بالبيئة السياسية والعلمية والاجتماعية والأدبية، كما وقفنا على أبرز المحطات في حياته معرفة بآثاره، لما في ذلك من فهم لتطرق ابن حزم للكتابة عن الحب أما في الفصل الثاني حددنا من خلاله تجليات الرسالة من خلال إحاطتنا بها بدءا بدواعي الكتابة وذكر من سبق ابن حزم لموضوع الحب لنذكر رأي بعض المستشرقين في رسالة لنحدد بعد ذلك الدلالة القاموسية والرمزية للعنوان ثم الكشف عن الطريقة المتبعة للتأليف هذا الأمر قادنا للتحدث عن الجانب الفني في الرسالة من نثر وشعر لنرى محاولة صاحبنا التأسيس لمدرسة بيانية أندلسية متميزة

وأوضحت في الفصل الثالث زبده البعد الفلسفي داخل الرسالة بداية من مهية الحب من خلال تعريفه وذكر أقسامه

كما ناقشنا إشكالية الاختيار والاضطرار في الحب والأسس الأساسية له ، لنصل في الأخير للركائز الفلسفية داخل الرسالة

الفصل الأول:

- زمن ابن حزم
- حياته

• وتأثيره

المبحث الأول:

زمن ابن حزم

1-الجانب السياسي

2- الحياة الاقتصادية

3- الحالة الاجتماعية والحركة العلمية والبيئة الثقافية

المبحث الأول: زمن ابن حزم

عند دراستنا لابن حزم نجد أنفسنا أمام مقدرة علمية ، وسعة اطلاع واستقلال فكري ، إنه ظاهرة تنير فهم الماضي ، وعلاقته بالحاضر

نحن إذن أمام رجل عاش للفكر، واضطهد بسبب من الفكر ، ومات حين مات في سبيل الفكر وهو في ذلك كله (ظاهرة) من ظواهر الحضارة التي أنشأها العرب في الاندلس ، وعبارة بليغة من عبارات الثقافة التي أقاموها هناك، وانتشرت في أوروبا ، وكانت أساسا بني عليها الأوربيون المحدثون نهضتهم [1]

فقد تعاقبت على شخصيته (ابن حزم) المحن والعداوات من كل جانب فلا يمكن فهم هذه الشخصية إلا بمعرفة ودراسة العلاقة القائمة بينه وبين عصره من أهم جوانبه، الجانب السياسي والحركة الاقتصادية فيه ، والحالة الاجتماعية والبيئة الثقافية دون أن ننسى أهم جانب وهو الجانب العلمي.

1- الجانب السياسي:

فقد ولد ابن حزم في قرطبة " وكان أبوه وزيرا للخليفة الأموي فكانت حاله ترتفع وتنخفض تبعا لحال سيده، ولما ثار البربر على الأمويين سنة 1013 نفي ابن حزم من قرطبة وصودرت أملاكه، وقضى بعد بعد ذلك عشر سنوات متنقلا في أنحاء البلاد من صقع إلى آخر البلاد مجاهدا في سبيل عودة السلطة إلى الأمويين، الذين بقي مواليا لهم على الرغم من تضعضع مركزهم، لكن نشاطه السياسي انتهى نهاية محزنة سنة 1023 عندما اغتيل سيده المستظهر ، ثانية إلى مغادرة قرطبة ، وإلى التخلي عن نشاطه السياسي". [2]

[1] عبد اللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ص 9

[2] د. ماجد فخري (ترجمة إلى العربية د. كمال اليازجي) ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، الجامعة الأمريكية الدارة المتحدة للنشر – بيروت ، ص 430

" غير أن المتصفح لتاريخ الأندلس يجد زمن ابن حزم حافل بالاضطرابات السياسية والانقسامات الطائفية، وتفشي الفوضى الأخلاقية الناتجة عن الترف ، وتطويع الدين بفقهائه لأغراض سياسية وملوك الطوائف بعد أن كانت الأندلس تحت راية بني أمية موحدة "[3] تنعم بالاستقرار السياسي.

ويمكن لنا أن نقسم الحياة السياسية لابن حزم إلى قسمين ، أو زمنين من سنة 384 إلى 399هـ أي قبل الفتنة البربرية، وما بعد الفتنة ابتداء من سنة 399هـ إلى 456هـ.

فالقسم الأول تميز بأن كانت مقاليد الحكم باسم الدولة الأموية ، إلا أنه طغى نفوذ العامرية في هذه الفترة بحيث أنه تسنم ذروة الحكم في ذلك الوقت محمد بن أبي عامر بعد أن استمال أم هشام ابن الحكم [4*] " صبح " واستطاع بذكائه الوصول إلى " ذروة الحكم الحقيقي للأندلس هو وأسرته من بعده فترة تزيد على ثلاثة عقود"[5]

" وقد خاض في تلك الفترة ابن عامر خمسين (50) غزوة لم يهزم في واحدة منها مؤديا ذلك إلى نجاحه في توفير الأمن للرعية طيلة فترة حكمه التي دامت خمسة وعشرين سنة .

بعد وفاة ابن أبي عامر سنة 392هـ خلفه ابنه عبد الملك الذي كان مثله مقدرة وكفاءة إلا أن حكمه لم يدم إلا سبع سنوات... انتهت الدولة العامرية سنة 399 هـ " [6]

" والملاحظ أن هذه الفترة تعتبر من أحسن فترات الأندلس استقرارا سياسيا عامة ، وخاصة عاصمتها قرطبة موطن ابن حزم ومكان نشأته" [7]

---

[3] د. عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي (من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة من 92- 897هـ - 711-1492) ، دار القلم – دمشق ط5

[4*] ولي الخلافة من سنة 366هـ إلى سنة 399 هـ

[5] طه بن علي بوسرت ، المنهج الحديث عند الإمام ابن حزم الأندلسي، دار ابن حزم ، ط1 (1422هـ - 2001م) ص 19

[6] عويس ، ابن حزم، ص 90

[7] طه بن علي بوسرت، المنهج الحديث عند الإمام ابن حزم الأندلسي، دار ابن حزم ، ط1 (1422هـ - 200م) ص 20

أما القسم الثاني : وهو زمن ما بعد الفتنة فقد عاشت في هذه الفترة قرطبة فتنا متتالية ويكفي للدلالة على ما تميزه به هذه الفترة من قلق واضطراب كبيرين أنه تقلب على الأمر فيها عشرة حكام تولى أربعة منهم الحكم مرتين [8] ، وبعض هؤلاء الحكام من الأمويين [9]، وبعضهم من بني حمود [10] الذين استولوا على السلطة في قرطبة سنة 406هـ ، وأخذوا يعبثون بالحكم ، فيولون ويعزلون كما يشاءون ، ويطلقون من الألقاب ما يحلو لهم ، وبديهي أن تولى بعض الخلفاء الحكم أكثر من مرة كان بتأثير الفتن الدائرة وأسلوب الانقلابات الدموية .[11]

ويصف ابن حزم تلك الأزمات التي تعاقبت على الأندلس بعد سقوط الدولة العامرية ويزور ملوك الطوائف بأنها [12] : " فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله .... للهم إنا نكوا إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم وبعمارة قصور يركونها عما قريب، عن عمارة شريعتهم اللازمة من معادهم ودار قرارهم ، ويجم أموال ربما كانت سببا في انقراض أعمارهم وعونا لأعدائهم عليهم عن حياطة ملتهم التي عزوا بها في عاجلتهم وبها يرجون الفوز في آجلتهم..." واستحالت دولة الأندلس بعد أن كانت كتلة موحدة إلى أشلاء ممزقة ورقاع متناثرة تربطها أي رابطة مشتركة " [13]

كان ابن حزم عام 402هـ أي في السنة التي شدت بها عاصمة الأندلس أكبر محنة في تاريخها قد بلغ الثامنة عشر سنة، وهكذا شب وسط الزعازع السياسية ، وتيار الانحلال الاجتماعي والتفسخ الأخلاقي في ذروة اندفاعه [14]

---

[8] طف ب علي بوسرت ، المنهج الحديثي عند ابن حزم الأندلسي ، دار ابن حزم ، ط1 ، (1422هـ - 2001م) ، ص 20

[9] وهم : محمد الثاني بن هشام وسليمان ابن الحكم، وهشام الثاني، وعبد الرحمان الرابع وعبد الرحمان الخامس بن هشام، ومحمد الثالث بن عبد الرحمان، وهشام الثالث بن عبد الرحمن ، أنظر ابن حزم ، أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس، 192/2 - 208

[10] وهم : علي الناصر بن حمود ، والقاسم المأمون بن حمود ، ويحي بن علي بن حمود ، المصدر السابق : 199/2 - 201

[11] عدنان : دول الطوائف، ص 20-21

[12] طه بن علي بوسرت ، المنهج الحديثي عند الإمام ابن حزم الأندلسي ، دار ابن حزم ، ط1 (1422هـ 2001م)

[13] عويس ، ابن حزم، ص 23

[14] عبد اللطيف شرارة ، ابن حزم رائد الفكر العلمي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، ص 32-33

" ولامنا أن تترك كل هذه الأحداث والاضطرابات السياسية والاجتماعية أثارها البليغة ومضارها الأليمة في نفس ابن حزم " [15]

..... هذه هي الأحداث التي عاشت حية في ذهن ابن حزم وكان قد شارك في بعضها ، كما سنرى عند عرض حياته، وهي التي أوحت إليه بكل ما في طباعه من عنف ، وتفكيره من قوة وشعور من مرارة ....[16]

كانت هذه هي التي نشأ فيها ابن حزم .

ب- الحياة الاقتصادية:

ما إن نسمع بالحياة السياسية إلا ويؤدي بنا الطريق إلى ذكر الحالة الاقتصادية – لأي بلد – فمع الاستقرار السياسي ، يزدهر الاقتصاد في مختلف المجالات الاقتصادية " أما في حالات الفزع والتقلبات السياسية والحروب المتواصلة التي شبه معارك قطاع الطريق، فإن الحالة الاقتصادية تصل إلى درجة من السوء تتناسب مع المستوى السيء للحالة السياسية ، ففي عصر بني عامر كان الثراء غالبا على الحياة القرطبية في طبقات المجتمع المختلفة ، وأما خلال الفتنة وفي عهد ملوك الطوائف ونتيجة للتدهور السياسي فإن الحالة الاقتصادية بالنسبة لمجموع الشعب كانت بالغة السوء" [17]

فقد كانت جنود الفتنة الطائفية لا يتورعون عن شن الغارات على الناس الآمنين والاستلاء على أموالهم بالقوة وقطع الطريق على مصالحهم وضرب الموس والجزية على رقابهم وتسليط اليهود لأخذ

---

[15] صلاح الدين القاسمي : مقدمة طوق الحمامة ، ص 16-17

[16] عبد اللطيف شرارة ، ابن حزم رائد الفكر العلمي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت

[17] طه بن علي بوسرت، المنهج الحديثي عند الإمام ابن حزم الأندلسي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 – بيروت - ، ص 21،22، نقلا عن ابن حزم رسالة التلخيص،174-173

الجزية منهم، ففي مثل هذه الظروف التردية لعدم استتباب الأمن والفوضى السياسية والاضطراب الذي غطى كل شيء ضعفت الصناعة وتقلصت التجارة وتدهورت الزراعة ، وعمت الفوضى كل مجال[18]

ج- الحالة الاجتماعية والحركة العلمية والبيئة الثقافية:

ما إن تحدثنا عن الحياة السياسية والاقتصادية إلا وأدى بنا الحديث بالضرورة للإحاطة بالمجتمع والبيئة الثقافية والعلمية التي كان يعيشها ابن حزم، لأن مؤلفاته وفكره كانت نتاج البيئة التي عايشها ، ولا يوجد فكر فلسفي إلا وكان وليد ظروفه ، وتطبع شخصية الفيلسوف بطابع متميز.

فنجد أن قرطبة كانت مركز للتقدم لعلمي والأدبي، وملتقى الشعراء والأدباء بالإضافة إلى أنها كانت مسرحا للخمور والمجون إلى جانب كونها معقل العلم والدين حيث كانت تضم مجموعة كبيرة من خيرة الفقهاء والعلماء ورجال الكلام[19] ويحثنا الدكتور زكريا إبراهيم في هذا الشأن : " وحسبنا أن نطلع على كتاب ابن حزم المسمى بـ (طوق الحمامة) لكي نتحقق من أن الوسط الاجتماعي الذي عاش في كنفه لم يكن مجرد وسط مبتذل مستهتر حافل بالخمر والنساء والمنكرات وإنما كان أيضا وسطا ثقافيا زاخرا بالعلوم والمعارف " [20] وتبرز هذه الحضارة الأندلسية بالقرن الخامس الهجري في حرية اختيار كل فرد لنمط حياته الخاصة والطريق الذي يسلكه في نمط عيشه وحياته بدون أن يتعرض للاضطهاد والضغوط من طرف المجتمع والحكام ، فمن أراد أن يسلك طريق العبادة والذهاب إل المساجد فله ذلك ، ومن أراد السهرات ومجامع النساء ، والفجور والخمور فله ذلك[21]

---

[18] عويس : ابن حزم ،34-28

[19] محمد أحلوش أهامي ، الترجمة الذاتية في الأدب الأندلسي من خلال أعمال ابن حزم ، ط1 (1428هـ - 2007م) ، ص 56

[20] زكريا ابراهيم : ابن حزم المفكر الظاهري الموسوعي، ص 27

[21] محمد أحلوش أهامي، نفس المرجع ، ص 56-57

وما كان يميز أهل الأندلس جمعهم بين جل الخصال والمهن والحرف، فقد كانوا متخصصين في الفلاحة في أنواع الغراسات (غرس الأشجار والزهور...) بالإضافة لاختبارهم الأجناس والفواكه يتقنون خدمة البساتين.

وأهل الأندلس عرب " في الأنساب والعزة والأنفة وعلوم الفهم ، وفصاحة الألسن وطيب النفوس، وإباء الضمير، وقلة احتمال الذل، والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع"[22]

وتأخذنا الإشارة إلى أن من أهم مسببات الفتنة سابقة الذكر في المطالب السالفة، هو اختلاط الأجناس في المجتمع الأندلسي فبالإضافة إلى العرب كان تواجد البرابرة ، والأسبان واليهود.

أما السكان الأصليين فكانوا الصقالبة الذين اعتنقوا الإسلام ثم هناك السبايا وهن من جنوب فرنسا أحضرن للأندلس من طرف المسلمين أثناء الحروب.

ورغم الاضطرابات السياسة الخطيرة التي عاصرها ابن حزم إلا أنها لم تؤثر في المسار الثقافي والعلمي آنذاك بل بالعكس عرفت ازدهارا علميا وثقافيا كبيرا، وعرفت هذه الفترة علماء كبار من بينهم : ابن عبد البار – رفيق ابن حزم – وأبو وليد الباجي – خصمه العلمي – وقد استفادوا من حركة الترجمة التي ظهرت في عهد المأمون كما أن تشجيع الحركة الثقافية والعلمية والأدبية كان من طرف الحكام نفسهم وكانوا يقدمون لهم الهدايا تشجيعا على إنتاجهم العلمي والثقافي...

واستمر الازدهار حتى عهد ملوك الطوائف فاتسعت رقعة الفكر وكثرت آفاق الإنتاج العلمي والأدبي " حتى كانت الأندلس روضة العلم والأدب فلم يتقهقر العلم بتقهقر السياسة، ولم يأفل نجم العلماء كما أفل نجم السياسيين " [23]

---

[22] محمد أحلوش أهامي، الترجمة الذاتية في الأدب الأندلسي من خلال أعمال ابن حزم ، (1428هـ - 2007م) ط1 ، ص 63

[23] المرجع نفسه ، ص61

فقبل الفتنة كان أزخر المكتبات هي مكتبة قرطبة التي كانت غنية بجميع أنواع الكتب وألوان المعارف خاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، فكانت بذلك الأندلس بيئة ثقافة وفكر وأداة التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع في الأندلس هي اللغة العربية .

وهناك عنصر آخر له أهمية في المجتمع الأندلسي، وهو العنصر النسوي، حيث يتمثل دور المرأة في ذلك العصر – العصر الذي عايشه ابن حزم – يقمن بتربية الأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة والأدب، زيادة على ذلك تحفيظهم القرآن والشعر...

فالمجتمع الأندلسي ، وصل قمة عالية من التقدم والانفتاح في حرية التعبير ، " إذ المرأة الأندلسية كانت تتمتع بنوع خاص من الحرية بحيث أنها كانت تعبر شعرا ونثرا عن عواطفها وعن أحاسيسها الداخلية .... إنه من الصعب تجسيد هذه العقلية الأندلسية في هذا العصر، إنها عقلية متحضرة جدا "[24] فالشعر يجري على ألسنة الرجال والنساء على حد سواء ، وعلى سبيل المثال لا الحصر: العروضية مولاة التي جرى ذكرها في (النفح الطيب) للمقري، فقد شاركت المرأة الأندلسية الرجل في الثقافة ، وهذا ما أشار إليه ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة) بطريقة غير مباشرة " فإذا كان العنصر النسوي وصل إلى هذه الدرجة في الميدان العلمي والثقافي والأدبي، فإننا لا نستغرب قصة ابن حزم الذي أخذ علومه الأولى على أيدي النساء لأنهن كن بارعات في هذا الميدان"[25]

ومن خلال ذلك كله فقد عاش ابن حزم في هذا المجتمع الذي جمع بين مظاهر متناقضة ومتباينة لأن ذلك المجتمع كان خليطا من عدة عناصر وسلالات ، وثقافات تفاعلت فيما بينها لتصوغ ذلك، المجتمع الحضاري المتفتح.

والجدير بالذكر والجالب للملاحظة هو أن ابن حزم كان صورة ناطقة نم خلال كتاباته لذلك المجتمع، وتعتبر مؤلفاته تعبيرا صريحا لمجتمع عاش فيه وعايشه بمختلف ظواهره الاجتماعية الثقافية العلمية منها والأدبية ، الدينية والفلسفية، فقد وصلت درجة تأثير ذلك المجتمع في تفكيره العميق لدرجة

---

[24] المرجع نفسه ، ص 62

[25] المرجع نفسه ، ص 64

أنه أخذ المجتمع مادة للدراسة والتحليل والموازنات ، وإن رسالته (طوق الحمامة) مليئة " بنتائج دراسته النفسية لذلك المجتمع الذي كان يموج بالعناصر المختلفة والمنازع المتباينة والمظاهر المتضاربة ويقودنا الحديث عن دور الجانب الاجتماعي والأخلاقي بالأندلس في القرن الخامس الهجري إلى الحديث عن شخصية المتألقة "[26]

[26] المرجع نفسه ، ص 65

المبحث الثاني:

حياته وشخصيته

1- مولده ، اسمه، نسبه ونشأته

2- حياته (صفاته وأخلاقه وميزاجه ، نكبتان، محنته)

3- شيوخه وتلاميذه

4- اضطهاده ونهاية (الوفاة)

المبحث الثاني:

حياته وشخصيته:

كان ابن حزم ذو شخصية قوية والدليل على ذلك تحدث جميع مؤرخوا الأندلس عنه وثنائهم عليه، فقد أشادوا بمواهبه وإن تنكر بعضهم لمبادئه وأزرى بأفكاره ، فلم يتعرض تاريخه للضياع كما تعرضت له مؤلفاته.

1- مولده ، اسمه ، نسبه ونشأته:

مولده: قال القاضي صاعد بن أحمد التغلبي (462 هـ) [27] : كتب إلى ابن حزم - بخطه- يقول: ولدت بقرطبة ، في الجانب الشرقي ، في ربض منية المغيرة ، قبل طلوع الشمس ، وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح ، آخر ليلة الأربعاء، آخر يوم من شهر رمضان المعظم – وهو اليوم السابع من نونير [*28]– سنة أربع وثمانين وثلاث مئة ، بطالع العقرب، " بعد أخ له يدعى أبا بكر سبقه إلى الوجود بخمس سنين أي أنه كان قد ولد سنة 379هـ ، وقد نشأ الأخوان نشأة مترفة في قصر أبيهما الوزير في الجانب الشرقي من قرطبة بالقرب من قصر الزاهرة" [*30] [29] التي أقامها المنصور بن أبي عامر بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم.

اسمه ونسبه:

وهو الإمام الأوحد، البحر ، ذو الفنون والمعارف، الفقيه الحافظ المتكلم الأديب، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف ، أبو محمد علي بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان

---

[27] عبد الحق التركماني – مختر طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والالاف، تصنيف الإمام الكبير الفقيه الأديب أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم ، مركز البحوث الإسلامية ، ط1 (1423هـ - 2003م) بيروت لبنان ، ص 64، نقلا عن (طبقات الأمم) 86، وعنه : الحافظ أبو القاسم ابن بشكوال في : " الصلة" 417/2

[*28] وهو : نوفمبر – تشرين الثاني- سنة 996 من تاريخ النصارى

[29] محمد أحلوش أهامي ، المرجع نفسه ، ص 71

[*30] الزاهرة: كانت الزاهرة مدينة في غاية الإتقان والجمال، تواجد فيها الصناع من كل جهة بدعم من المنصور فكانت مقصد للناس من الداخل والخارج.

بن يزيد، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي – رضي الله عنه– المعروف بيزيد الخير [31*] نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– على دمشق فكان جده يزيد – مولى الأمير يزيد أخي معاوية، وكان جده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملك الأندلس عبد الرحمان بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل [3233*]

ولكن" تضاربت الروايات في نسب علي بن حزم تضاربا يصعب معه القطع برأي ، فإن صاعدا الآنف يرده إلى الفرس، ويقف بسلسلة نسبة عند يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان الأموي، أي أنه فارسي الأرومة، أموي بالولاء[34] ... وقد تمسك بهذا الرأي أغلبية الفقهاء منهم الذهبي، الفتح بن خاقان ، وتلميذه الحميدي وكذا الضبي وغيرهم .

وهناك من يرى أنه ليس من أصل عربي ولا هو ولد في ظل الإسلام.

وأشهر من تمسك بهذا الرأي هو ابن حيان مؤرخ الأندلس الشهير الذي أثار الشك في هذا النسب، إذ قال: " .... كان من غرائبه انتماؤه لفارس وإتباعه أهل بيئة له في ذلك بعد حقبة من الدهر، تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، الراجح في ميزانه أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمته، لاعن صحة ولاية لهم عليه ، فقد عهده الناس خامل الأبوة ، مولد الأرومة عن عجم لبلة ، جده الأدنى حديث عهد الإسلام، لم يتقدم لسلفه نباهة ، فأبوه أحمد على الحقيقة، هو الذي بنى بيته نفسه في آخر الدهر

[31*] أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا ، وهو أحد الأمراء الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، ولما فتحت دمشق ، أمره عمر عليها، توفي في الطاعون سنة (18 هـ) ترجمة ومصادرها في " سير أعلام النبلاء " 1/(68)

[32] عبد الحق التركماني، المرجع نفسه، ص 63

[33*] لأنه حين انقرضت خلافة بني أمية من الدنيا وقتل مروان الحمار، وقامت دولة بني العباس، هرب هذا فنجا، ودخل إلى الأندلس فتملكها، وتوفي سنة ، (172 هـ) ترجمته ومصادرها في : (السير) 55/8

[34] عبد اللطيف شرارة، المرجع نفسه، ص 36

برأس رابية ، وعمده بالخلال الفاضلة .... ولم يكن إلا كلا ولا حتى تخطى علي هذا رابية لبلة ، فارتقى قلعة اصطخر من أرض فارس، فالله أعلم كيف ترقاها"[35]

وقد انتقد هذا الرأي من قبل الدكتور إحسان عباس الذي قال أن التشكيك الذي جاء في نسب ابن حزم من قبل ابن حيان كان من طرف رجل ميال للذم والثلب.

" وقد أشار ابن حزم إلى نسب في بيتين من الشعر، يوضح فيه انتسابه للفرس وافتخاره بولائه لبني أمية :

سمـــا بب يســـاسان ودارا وبعـــدهم قريش العلى أعيـــاصها والعنـــابس

فما أخرت حرب مراتب سيـــــؤددي ولا قعدت بي عند ذرى المجد فارس [36]

والملفت للانتباه في نسب ابن حزم وأسرته هو من تكون والدته ؟ التي تعتبر صاحبة الحظ الأوفر في تكوين شخصيته – طبعا من خلال دراستنا لسيرة ابن حزم – " والعجيب أنه لم يذكر في كتابه (طوق الحمامة) – وهو بمنزلة (اليوميات) أو (المذكرات) أو (الاعترافات) من مؤلفاته – شيئا عن والدته، ولا تعرض لها في قليل أو كثير، مع أنه تحدث فيه عن والده أكثر من مرة ، ولدى أكثر من مناسبة ، في الكتاب نفسه عن نساء سماهن ، وأغفل ذكر عدد منهن كأن يقول : " حدثتني امرأة أثق بها" أو " إني لأعلم امرأة موسرة ذات جوار وخدم ...." أو " وإني لأعلم امرأة جليلة حافظة لكتاب الله ..." إلخ ... أتكون والدته واحدة من أولئك النسوة اللواتي أغفل تسميتهن؟ من يدري ؟ ! " [37] إلا أن بعض المراجع التي تحدثت عن سيرة ابن حزم ذهبت إلى أم ابن حزم كونها إسبانية الأصل، استعربت مع من استعرب من النساء في جيل سابق، المهم هو أن نبحث عن نسبه الروحي – أهم نسب في سيرة ابن حزم لما له من تأثير في تفكيره – الذي يرجع إلى النسوة اللواتي أشرفن على تربيته في الصغر حيث يقول عن نفسه: "

---

[35] نفس المرجع السابق نقلا عن : ابن بسام (الذخيرة) ، القسم الأول: المجلد الأول، ص 143

[36] محمد أحلوش أهامي، المرجع نفسه، ص 69

[37] عبد اللطيف شرارة ، نفس المرجع ، ص 36

.... لقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري ، لأني ربيت في حجورهن ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب ، وحين تفيل وجهي، وهن علمنني القرآن ورويننني كثيرا من الأشعار، ودربنني في الخط ، ولم يكن وكدي وإعمال ذهني منذ أول فهمي وأنا في سن الطفولة جدا ، إلا تعرف أسبابهن والبحث عن إخبارهن، وتحصيل ذلك ، وأنا لا أنسى شيئا مما أراه منهن ، وأصل ذلك غيره شديدة طبعت عليها وسوء ظن في جهتهن فطرت به وأشرفت من أسبابهن على غير قليل " [38]

نشأته:

نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفرطا، وذهنا سيالا، وكتبا نفسية كثيرة وكان والده من كبراء أهل قرطبة ، عمل الوزارة في الدولة العامرية وكذلك وزر أبو محمد في شبيبته

وكان قد مهر أولا في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة ، فأثرت فيه تأثيرا ليته سلم من ذلك، ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق ويقدمه على العلوم ، فتألمت له، فإنه رأس في علوم الإسلام متبحر في النقل، عديم النظير ، على يبس فيه وفرط ظاهرية ، في الفروع لا الأصول[39]

فالحقيقة الثابتة أنه من أسرة تمتعت بمكانة اجتماعية مرموقة ، تميزت بكفاءات أدبية وفكرية وسياسية لا يرقى إليها شك.

هكذا إذا نشأ " أبو محمد على ابن حزم في أسرة مترفة، مثقفة وتلقى دروسه الأول على أيدي النساء ، وهن علمنه ، كما تلقى عن أبيه الإقبال على الحياة بروح أدبية عالية ، وأفاد من رجاحة عقله ورفعة شأنه، وكان أبوه يقول له في وصاياه:

---

[38] ابن حزم ، طوق الحمامة ، القاهرة 1959، ص 50

[39] عبد الحق التركماني، المرجع نفسه، ص 66

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن على حالة ! إلا رضيت بدونها ! [40]

2- حياته (صفاته وأخلاقه وميزاجه ، نكبتان، محنته) :

شجاعة أدبية نادرة تجاوزت حدود الحياء المصطنع وتكسر قيود التبعية الأعجمية تأذن للآخرة أن يطلع على أفكاره ومشاعره والجوانب الشخصية من حياته.

حبه للحق والعدالة والصدق، بغضه الشديد للباطل والظلم والكذب، كان مرهف الحس ، مشعل الوجدان ، تطبعت نفسه بحب الجمال، متفتح الحواس على أشياء كثيرة من أفانين الحب – هذا نتيجة لنوع التربية التي تلقاها في صغره من طرف النساء– " وقد اتصف ابن حزم بخصلتين جبل عليهما، هما الوفاء وعزة النفس، وكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو لنفسها ، فالوفاء يدعو إلى الثبات وعدم التلون والنسيان، وعزة النفس لا تقر الضيم وتهتم بأقل ما يرد عليها من تغير المعارف، فتدعو – بطبيعة الحال – إلى الهجر والنسيان، تدافع دواعي هاتين الصفتين ، ولد في نفسه صراعا شديدا ، وصفه بهذه الكلمات الصريحة : (لا يهنئني معهما عيش أبدا، وأني لأبرم بحياتي باجتماعهما ، وأود التغيب من نفسي – أحيانا – لأفقد ما أنا بسببه من النكد من أجلهما) !! " [41]

كل ذلك كان يعبر عن سلوك عمليا يتجلى في كتابته خاصة كتابه (طوق الحمامة) حيث " عاش ابن حزم كل كلمة من كلماته شعورا في النفس، وسلوكا في الحياة ، وممارسة في المجتمع مع أحبابه وأصدقائه وأصحابه، ومع مناوئيه ومبغضيه وأعدائه، على حد سواء" [42]

ولأبي بكر أحمد بن سليمان المرواني [43] ، يمدح ابن حزم – رحمه الله–

لما تحلى بخلق كالمسك أو نشر عود نجل الكرام ابن حزم وفــاق في العلم عــود

---

[40] عبد اللطيف شرارة ، المرجع نفسه، ص 38-39

[41] عبد الحق التركماني، مختصر طوق الحمامة ، ص 59

[42] نفس المرجع ، ص 59

[43] عبد الحق التركماني ، مختصر طوق الحمامة، ص : 84 نقلا عن الحميدي في : " الجذوة " وقال : من أهل الأدب، أنشدني لنفسه في أبي محمد علي بن أحمد، على طريقة السبتي ..... وذكر الأبيات.

فتواه حدد ديني جدواه أورق عـــــودي أقول–إذ غبت عنه–:يا ساعة السعد عودي

نكبتان:

ولقد أصيب ابن حزم بنكبات أثرت عليه كثيرا وغيرت مجرى حياته ومن بينها فقدان جارية له كان يحبها حب الهيام ، وهو في ذلك لم يبلغ سن العشرين من عمره، وكانت هذه الجارية تبادله حبا بحب وإخلاص بإخلاص.

وكان يرى فيها نعيم حياته وسعادة مستقبله إلا أن القدر اختطفها منه وتركه يحترق بنار الحب وهو مستعد بأن يفيدها بما عز لديه، لو كان أمكن ذلك، ولم يعد يحب غيرها بعد رحيلها، ودليلنا على ذلك قوله : [44] " كنت أشد الناس كلفا وأعظمهم حبا بجارية لي كانت فيما خلا اسمها (نعم) وكانت أمنية المتمني، وغاية الحس خلقا وموافقة لي، وكنا قد تكافأنا المودة ففجعتني بها الأقدار واحترمتها الليالي ومر النهار أو صارت ثالثة التراب والأحجار وسني حين وفاتها دون العشرين سنة وكانت هي دوني في السن فلقد أقمت بعدها سبعة أشهر لا أتجرد عن ثيابي " [45]

" ولا شك أن هذه النكبة تركت أثرا عميقا في توجيه حياة ابن حزم نحو أخذ الأمور ، والقضايا الحياتية بنوع من التمرس ، والجد والصرامة ، والسعي وراء الحق بكل ما يتعلق بقضايا الناس وأمورهم في المجتمع الأندلسي"[46]

والملاحظ أن ابن حزم بقي يتألم بسب النكبة الأولى" إلى أن أصيب بمصيبة ثانية وهي نكبة قرطبة التي اكتسحها البرابرة واعتدوا عليه، وعلى أسرته وأذاقوهم أمر العذاب، والتشرد في أنحاء الأندلس وبعد ذلك بقليل نعي في والده الذي كان المساعد الأيمن له ، وفي هذه المرة عرف ظروفا قاسية ، ولحظات سوداء ، ووصل به الحزن درجة عميقة كاد يفقد عقله.

---

[44] محمد أحلوش أهامي، نفس المرجع السابق، ص 75

[45] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 91

[46] محمد أحلوش أهامي، نفس المرجع ، ص 75-76

وقد عاش صاحبنا حياة التنقل والتشرد بعد فتنة قرطبة التي عمت الناس جميعا، وخصت أسرته"[47]

محنته:

" وقد امتحن لطول لسانه في العلماء ، وشرد عن وطنه، فنزل بقرية له ، وجرد له أمور وقام عليه جماعة من المالكية"[48] وجرت بينه وبين أبي الوليد الباجي (403- 474هـ) مناضرات ومنافرات ، ونفروا منهم ملوك الناجية ، فأقصته الدولة، وأحرقت مجلدات من كتبه[49] وتحول إلى بادية لبلة [50] في قرية.

قال أبو العباس اب 2 العريف (536هـ) : كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين " [51]

ج- شيوخه وتلاميذته:

تلقى ابن حزم علومه الأولى في قصر أبيه على أيدي الجواري اللواتي دربنه على الخط، وعلمنه قراءة القرآن والرواية والأخبار[52] فأشرب مع العلم حب الجمال وإرهاف الحس، فلما أضاف إلى ذلك ، النزعة الدينية لم يستغرب منه (طوق الحمامة) ولا نظراته إلى الحب وشعره الغزلي.[53]

شيوخه:

---

47 نفس المرجع ، ص 76

48 هذه واحدة من المحن التي أصابته، غير أنها لم تكن الوحيدة بل قاسى ابن حزم محنا كثيرة من الأجلاء، والسجن، والأسر والنفي والتغريب مما سيذكر بعضه في (طوق الحمامة) وذلك لأنه لم يرض بأنصاف الحلول بل تمسك بشرعية الخلافة الأموية، واتخذ موقفا شجاعا وواضحا من فتنة البربر

49 ومع هذا لم يخرج ابن حزم- رحمه الله عند حد العدل والإنصاف

50 غربي قرطبة، بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية ، خمسة أيام، " معجم البلدان" 10/5

51 عبد الحق التركماني، مختصر طوق الحمامة ، ص 73-74

52 محمد أحلوش أهامي، نفس المرجع، ص 80

53 نفس المرجع ، نقلا عن د. محمد رضوان الداية، "تاريخ النقد الأدبي في الأندلس" ، ط 1 - 308

وسمع في سنة 400 وبعدها من طائفة منه:

1- يحي بن عبد الرحمان بن مسعود، عرف بابن وجه الجنة (304 – 402هـ) صاحب قاسم بن أصبغ (340هـ) فهو أعلى شيخ عنده

2- ومن أبي عمر أحمد بن محمد بن أحمد الأموي القرطبي ابن الجسور (401هـ)

3- ويونس بن عبد الله بن مغيث القاضي (338- 429هـ)

4- وحمام بن أحمد القاضي (357 – 421هـ)

5- ومحمد بن سعيد بن محمد بن نبات الأموي القرطبي (235 – 429هـ)

6- وعبد الله بن ربيع التميمي (330- 415هـ)

7- وعبد الرحمان بن عبد الله بن خالد بن مسافر، أبي القاسم الهمداني الوهراني (338-411هـ) [54*]

8- وأبي عمر أحمد بن محمد الطلمذكي (429هـ)

9- وعبد الله بن يوسف بن نامي (348- 435هـ)

10- وأحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ (430هـ)

وينزل إلى أن يروي عن :

11- أبي عمر بن عبد البر (368- 463هـ)

12- وأحمد بن عمر بن أنس العذري (393- 478هـ)

وأول سماعه من أبن الجسور في حدود سنة أربعمائة [55]

وأجود ما عنده من الكتب " سنن النسائي " يحمله عن ابن ربيع، عن ابن الحمر عنه ، وانزل ما عنده " صحيح مسلم" بينه وبينه خمسة رجال، وأعلى ما رأيت له حديث بينه وبين وكيع فيه ثلاثة أنفس.

[54*] ذكر الذهبي – رحمه الله – بعد هذا " عبد الله بن محمد بن عثمان " وهو : أبو محمد الأسدي الأندلسي ، كان محدثا ، ضابطا ، ثقة ، ذكره الذهبي – نفسه- في وفيات سنة: 264 من تاريخ الإسلام من 324 فذكره في شيوخ ابن حزم وهم ، وإنما يروي عنه بواسطة شيخه: عبد الله بن ربيع كما في مواضع من : " المحلى"

[55] قاله الحميدي في " جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب، وذوي النباهة والشعر " الترجمة (707)

تلاميذته [56]

حدث عنه : ابنه أبو رافع الفضل (479هـ) [*57] وأبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (488 هـ) ، فأكثر ، ووالد القاضي أبو بكر ابن العربي [*58] وطائفه.

وآخر من روى عنه بالإجازة : أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني الأشبيلي (539هـ)

د- اضطهاد ونهاية (الوفاة)

الملاحظ في حياة ابن حزم أنه لم يكن وحيدا في أيامه الأخيرة حيث أنه " تزوج ورزق عددا نت الأولاد، عرف منهم ابنه الفضل أبو رافع الذي أصبح وزيرا من بعد لأبي القاسم بن عباد المعتمد – وهو ابن المعتضد – وكان من أخلص المخلصين لألد أعداء أبيه ، وأبو سليمان المصعب، وأبو أسامة يعقوب، وهؤلاء الثلاثة عملوا على نشر أفكار أبيهم، والترويج لها إذ كانوا في عداد الأدباء، والعلماء ، وأشهرهم الأول، ولا نعرف كيف كانت صلته بهم في تلك الفترة الدقيقة من حياته"[59]

ما أصدقاؤه – الذين كانوا أغلبهم من الطبقة العليا من المجتمع والطبقة المثقفة – فقد تفرقوا عنه، وكانت مواقفهم مختلفة فمنهم من لم يستطيعوا مناصرته وش أزره داخل البلاد – نتيجة النقمة التي لحقت به – أغلب هؤلاء من فتيان بني أمية وأنصارهم (السياسيون)

---

[56] نفس المرجع ، ص 65-66

[*57] كان عنده أدب ونباهة وذكاء، وكتب بخطه علما كثيرا، تفي – رحمه الله- بوقعة الزلاقة شهيدا " صلة" (997) ، و " تاريخ الاسلام" (الطبقة : 48 على الترجمة 296) ، ومن أبناء ابن حزم – أيضا - : أبو أسامة يعقوب، وقال ابن بشكوال في " الصلة" : كان من أهل النباهة والاستقامة، من بيته علم وجلاله، توفي سنة (503هـ) ، ومنه أبو سليمان مصعب ، ذكره ابن خير الإشبيلي في : (فهرسته) 456/2، ووصفه بالفقيه

[*58] هو العلامة الأديب، ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الإشبيلي صحب ابن حزم، وأكثر عنه ثم ارتحل بولده أبي بكر، ومات في مصر في أول سنة: (493هـ) ، ورجع لابنه أبو بكر الأندلس، وتوفي سنة(543هـ) ، قال الذهبي : وكان أبو محمد من كبار أصحاب أبي محمد بن حزم الظاهري: بخلاف ابنه القاضي أبي بكر فإنه منافر لابن حزم، محط عليه بنفس تأثره، ترجمتاه في " سير أعلام النبلاء"

[59] عبد اللطيف شرارة ، نفس المرجع ، ص 50

أما الصنف الثاني منهم فلقاه بالخذلان ، وكان قائما على لومه، وتنكر لعشرة العلاقة به، وكان على رأس هؤلاء ابن عمه أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم – كان من بين من يكبر به ابن حزم ويعجب به ويحبه في كتابه (طوق الحمامة)

وآخر الأصناف من أهمله وتخلى عنه وأخذ موقف الحياد فلا هو بالمحسن إليه ولا المسيء ، كان أغلبهم من الأدباء والشعراء والمنشغلين بالفقه وكانت معاملتهم له نتيجة ما رأوا من تألب زملائه وسخط الأمراء عليه فاشتروا العافية وتركوه لمصيره وحيدا

فلم يبق حوله سوى صغار الطلبة يعيشون معه في تلك القرية النائية ، يجتهد في الإفادة منه، يقوم بجمع ما تناثر من كتبه ويحتفظ بنسخ منها، كي لا تتعرض للاندثار من بعده.

وروى ابن دحية أن ابن حزم " كان قد برص: من أكل اللبان وأصابته زمانه" عجلت في تقصير أيامه وأساءت إلى صحته.[60]

قال صاعد : ونقلت نم خط ابنه أبي رافع ، أن أباه توفي – رحمه الله – عشية يوم الأحد، لليلتين بقيتنا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربعمائة، فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرا – رحمه الله تعالى– [61]

إذا " في 28 شعبان عام 456هـ (15 آب 1064م) قضى نحبه وانتهى من هموم الدنيا، تاركا من آثاره وسيرته (همت) لغيره من الباحثين وكان قد قدر في بعض كتبه : " .... واعلم أنك لا تورث العلم إلا من يكسبك الحسنات وأنت ميت ، والذكر الطيب ، وأنت رميم " [62]

[60] عبد اللطيف شرارة، نفس المرجع ص 51

[61] عبد الحق التركماني، نفس المرجع ص 84

[62] عبد اللطيف شرارة ، نفس المرجع ، ص 51

المبحث الثالث

تأثيره

1- منزلته العلمية

2- أهم وأشهر مصنفاته (مؤلفاته)

المبحث الثالث: تأثيره

واصل ابن حزم طلبه للعلم في قرطبة، وغيرها من المدن الأندلسية منها: المرية ، وبلنسية، وشاطبة، وميورقة، واشبيلية، وأخيرلبادية (لبلة) التي نفي إليها، وقضى فيها آخر حياته – مع الأخذ بعين الاعتبار أنه كان يعود من حين لآخر للإقامة في قرطبة – وبهذا يكون ابن حزم قد تجول في ربوع الأندلس.

" وأفاد من ذلك ، فجمع بين العمل السياسي وبين النشاطات الثقافية المختلفة ولما تأكد له أن لا جدوى من وراء العمل السياسي ، عرج الطريق موجها إلى العلمي الذي أخذ منه في زمن يسير شيئا كثيرا"[63]

1– منزلته العلمية :

تعددت نواحي شخصية ابن حزم ، وتنوعت مجالات نشاطه فكان شاعرا ومفكرا وفقيها ومؤرخا، وناقدا فلسفيا وحكيما أخلاقيا في آخر مرحلة، وسنرى عند ذكر مؤلفاته أنه كتب في مختلف الموضوعات ولم يترك حقلا من حقول المعرفة إلا ألقى فيها بعض البذور[64]

" كان ينهض بعلوم جمة ، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وفيه دين وخير، (وتورع وتزهد وتحر للصدق) [65] ، ومقاصد جميلة ، ومصنفاته (جميلة) مفيدة ، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله مكبا على العلم ، فلا نغلوا فيه ، ولا نجفوا عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار : وقال أبو حامد الغزالي (505هـ) – رحمه الله– قد وجدت في أسماء الله تعالى كتابا ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي ، يدل علم حفظه وسيلان ذهنه " [66]

---

63 محمد أحلوش أهامي، الترجمة الذاتية في الأدب الأندلسي من خلال أعمال ابن حزم ص ، 81

64 عبد اللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي ، ص 53

65 زيادة من ترجمة ابن حزم في تذكرة الخفاظ 300/ الترجمة (1016) ، للإمام الذهبي (من كتاب عبد الحق التركماني مختصر طوق الحمامة ، ص 67)

66 نفس المرجع عبد الحق التركماني، ص 67

ووصف ابن العماد في كتابه (شذرات الذهب) ابن حزم في عبارة جامعة " .... كان إليه المنتهى في الذكاء ، وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل ، والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرئاسة والثروة وكثرة الكتب[67]

وقال الإمام أبو القاسم ضاعد بن أحمد : كان حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار، أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه – أبي محمد– من تواليفه أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة [68]

قال عبد الله الحميدي [69] : كان ابن حزم حافظا ، عالما بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة، متفننا في علوم جمة عاملا نعلمه، زاهدا في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، متواضعا ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات، شيئا كثيرا، وسمع سماعا، جما، وما رأينا مثله – رحمه الله– فيما اجتمع له من الذكاء ، وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسعة وباع طويل ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير، جمعته على حروف المعجم.

" وقال أبو القاسم صاعد: كان أبوه أبو عمر من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر، مدبر دولة المؤيد بالله بن المستنصر المرواني، ثم وزر للمظفر بن المنصور ، ووزر أبو محمد للمستظهر بالله عبد الرحمان بن هشام، ثم نبذ هذه الطريقة ، وأقبل على العلوم الشرعية ، وعني بعلم المنطق وبرع فيه ، ثم أعرض عنه.

---

[67] نفس المرجع، عبد اللطيف شرارة ، ص 111

[68] عبد الحق التركماني ، مختصر طوق الحمامة ، ص 68، نقلا عن " طبقات الأمم" ص 76، ثم قال صاعد الأندلسي – تعليق على هذا العدد – وهذا شيء ما علمناه من أحد كان في دولة الاسلام قبله، إلا لأبي جعفر بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تأليفا

[69] نفس المرجع ، ص 76 نقلا عن " جذور المقتبس"

قلت : ما أعرض عنه حتى زرع في باطنه أمورا ، وانحرافا من السنة.

قال : وأقبل على علوم الإسلام حتى نال من ذلك ما لم ينله أحد بالأندلس قبله" [70]

قال اليسع بن حزم الغافقي (575هـ) – وذكر أبا محمد– فقال: أما محفوظه ، فبحر عجاج، وماء ثجاج، يخرج من بحره مرجان الحكم وينبت بثجاجه ألفاف النعم في رياض الهمم لقد حفظ علوم المسلمين وأربي على كل أهل دين، وألف " الملل والنحل" وكان في صباه يلبس الحرير، ولا يرضى من المكانة إلا بالسرير أنشد المعتمد، فأجاد وقصد بلنسية وبها المظفر أحد الأطواد وحدثي عنه عمر بن واجب ، قال: بينما نحن عند أبي بلنسية وهو يدرس المذهب، إذا بأبي محمد بن حزم يسمعنا ويتعجب ثم سأل الحاضرين مسألة من الفقه وجوب فيها فاعترض في ذلك ، فقال له بعض الحضارة : هذا العلم ليس من منتحلاتك ! فقام وقعد ودخل منزله فعكف ووكف منه وابل فما كف، وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك الموضع فناظر أحسن مناظرة، وقال فيها: أنا أتبع الحق وأجتهد ولا أتقيد بمذهب [71]

مهما كانت ظروف ابن حزم ومهما تعرض لانتقادات صارمة من طرف خصومة فإنه يبقى دائما ذلك الرجل المفكر الكبير الموسوعي.[72]

ب–أهم وأشهر مصنفاته (مؤلفاته):

مات ابن حزم عن عمر يناهز الاثنين والسبعين عاما " بعد حياة مليئة بالكفاح مخلفا وراءه ثروة هائلة من الإنتاج العلمي بلغت فيها روي عن ابنه الفضل أبي الرفيع حوالي أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة " [73] ولا جدال أنه كان (موسوعي) المعرفة يشخص بهذه الموسوعية المثل

---

[70] عبد الحق التركمتني، مختصر طوق الحمامة ، ص 68-69

[71] نفس المرجع ، ص 69

[72] محمد أحلوش أهامي، الترجمة الذاتية في الأدب الأندلسي من خلال أعمال ابن حزم ، ص 80

[73] عبد اللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي، ص 98

الأعلى للمثقف الحكيم في القرون الوسطى وكان هو النموذج الذي اتخذ قدوة في حياة أبناء تلك القرون من هذه الناحية ويمكن توزيع مؤلفاته على النحو الآتي [74]

بالاعتماد على مذكرة ماجستير [75] اعتمد فيها على المراجع الآتية ذكر أصحابها:

الإمام الذهبي [76] ، إحسان عباس [77] ، د عمر فروخ[78] ، د أبو زهرة [79]، د سعيد الأفغاني [80] ، د عبد اللطيف شرارة [81]، د عبد الكريم خليفة [82]، د ندى توميش [83]

1- مؤلفات ابن حزم في فروع الفقه:

- إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل (مطبع)
- الأحكام لأصول الأحكام (مطبوع)
- الإيصال إلى فهم كتاب الخصال (مطبوع)
- الإيصال الحافظ لعمل شرائع الإسلام (مطبوع)

---

[74] نفس المرجع، ص 111

[75] حاجي امباركة رسالة ماجستير، الظاهرة الجمالية (مقارنة بين كتابي : أحياء علوم الدين للغزالي وطوق الحمامة لابن حزم)

[76] الذهبي ، سير الأعلام النبلاء، الجزء الثامن عشر

[77] د. إحسان عباس، رسائل ابن حزم، ج1، ص 6 وما بعدها

[78] د. فروخ، ابن حزم الكبير، ص 58 وما بعدها

[79] أبو زهرة ، ابن حزم ، حياته وعصره ، آرائه وفقهه

[80] سعيد الأفغاني ، ابن حزم الأندلسي ورسالة في المفاضلة بين الصحابة

[81] عبد اللطيف شرارة ، ابن حزم رائد الفكر العلمي

[82] د. عبد الكريم خليفة، ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه

[83] ندى توميش، Nada Tomiche , Ibn Hazm épitre morale

- الإظهار لما شنع به على الظاهرية (مطبوع)
- الإجماع ومسائله في أبواب الفقه (مطبوع)
- الإملاء في قواعد الفقه (مفقود)
- اختلاف الفقهاء الخمسة (مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداوود) (مفقود)
- إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والإنجيل وبين تناقض مابايديهم من دلك مما لا يتحمل التأويل (مفقود)
- الترشيد في الرد على الكتاب الفريد لابن الروندي (مفقود)
- التصفح في الفقه (مفقود) التحقيق في نقض كتاب العلم الإلهي لمحمد ابن زكريا الطبيب
- حجة الوداع (مطبوع)
- رسالة بيان البيان عن حقيقة الإيمان (مطبوع)
- رسالة على شارع النجاة باختصار الطريق (مطبوع)
- رسالة في الإمامة (مطبوع)
- رسالة في حكم من قال أن أرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم الدين
- رسالة في الرد على ابن النغريرة اليهودي (مطبوع)
- رسالة في مسألة الكلب (مخطوط) رسالتان أجاب فيهما على رسالتين سئل فيهما سؤال تعنيف (مطبوع)
- رسالة في الغناء الملهى امباح هو أم محظور ؟ (مطبوع)
- رسالة الدرة في تحقيق الكلام فيما يلزم الإنسان اعتقاده (مخطوط)
- الصادع الوادع في الرد على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على من قال بالتقليد (مطبوع)
- الفصل في الملل والأهواء والنحل (مطبوع)
- مختصر في علل الحديث (مطبوع)
- المحلى (11 جزء) (مطبوع)

2- مؤلفاته في الحديث:

- أجوبة على صحيح البخاري (مفقود)
- ترتيب مسند بقي من مخلد (مفقود)
- جزء في أوهام الصحيحين (مفقود)
- الجامع في صحيح الأحاديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل الفاظها وأصح معانيها (مفقود)
- شرح أحاديث الموطأ والكلام على مسائله (مفقود)
- مختصر في علل الأحاديث.

3- مؤلفاته في الأخلاق والتربية :

- رسالة في مداورة النفوس وتهذيب الأخلاق (مطبوع)
- رسالة في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها (مطبوع)
- رسالة التلخيص لوجوه التلخيص (مطبوع)
- رسالة مراتب العلوم (مطبوع)

4- مؤلفاته في الفلسفة :

- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ عامية والأمثلة الفقهية.
- مراتب العلوم (في كيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض)
- الأحكام في أصول الأحكام (فلسفة الفقه الإسلامية).

ويضاف إلى هذه المؤلفات عدد من التلامذة لا نقدر أنه كان كبيرا وإنما كان أفراده من غير المغمورين ظهر منهم على مسرح الحياة الثقافي من بعده ثلاثة : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، وابن دحية ، وابن العربي الأندلسي، الأول كان شاعرا ، مؤرخا حافظا راوية وعن ابن حزم أخذ أكثر علمه، وله كتاب " جذوة المقتبس" في طبقات علماء الأندلس، والثاني ولد في بلنسية بعد مرور نحو من مائة عام على وفاة ابن حزم ونشر المذهب الظاهري متأثرا بآراء أستاذ لم يعرفه إلا في كتبه.

والثالث صوفي مشهور ولد بعد وفاته بأكثر من مائة عام في مرسية، وطبق ذكره الخافقين، واعتنق مذهب ابن حزم في الفقه.

تميز ابن حزم حتى في تناوله للمسائل الفلسفية مثل المنطق فرغم أنه انتصر للمنطق الأرسطي كما يقول د . إحسان عباس وللفلسفة اليونانية ضد من رفضوها من الفقهاء والعلماء إلا أنه كان رافضا للتقليد طالبا للتجديد حاملا لهموم عصره ذو فلسفة متميزة بطابعه الفكري الخاص :

- هل للموت ألم أم لا (مطبوع)
- الرد على المندي الفيلسوف (مطبوع)
- مسألة هل السواد لون أم لا (مطبوع)
- مقالة السعادة (مفقود).

5- مؤلفاته في التراجم والتاريخ:

- تسميات شيوخ مالك (مفقود)
- تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر المنصور (مفقود)
- جزء في فضل العلم وأهله (مفقود)
- جمهرة انساب العرب (مطبوع)
- ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس (مطبوع)
- رسالة في جمل فتوح الإسلام (مطبوع)
- غزوات المنصور ابن أبي عامر (مفقود)
- تواريخ أعمامه وأبيه وأخواته وبنيه وبناته، مواليدهم وتاريخ من مات منهم في حياته (مفقود)
- فهرست شيوخ ابن حزم (مفقود)
- الفضائح (مفقود)
- مراتب العلماء (مفقود)
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجاله (مطبوع)
- نسب البربر (مفقود)
- نقط العروس في تاريخ الخلفاء (مطبوع)

6- مؤلفاته في اللغة والأدب :

- أشعار متفرقة في كتبه وقصيدة مطولة في الرد على "نقفور" ملك الروم (مطبوع)
- بيان البلاغة والفصاحة رسالة في ذلك إلى " ابن حفصون" (مفقود)
- رسالة التأكيد (مفقود)
- رسالة في القرآن ليس في نوع بلاغة الناس (مفقود)
- الرد على ابن الاقليلي في شعر المتنبي (مفقود)
- شيء في العروض (مفقود)
- طوق الحمامة في (الألف الآلاف) (مطبوع)

7- مؤلفاته في الطب:

- اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة (مفقود)
- رسالة في الطب النبوي (مفقود)
- شرح فصول بقراط (مفقود)
- كتاب في الأدوية المفردة (مفقود)
- مقالة في شفاء الضد بالضد (مفقود)
- مقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب (مفقود)

إن هذه القائمة الطويلة من المؤلفات العلمية المتنوعة تدل حقيقة على غزارة علم ابن حزم، وتنوع ثقافته التي غلب عليها الطابع واللون الإسلاميين، المستمدان من القرآن والعلوم الإسلامية الأخرى.

وعن هذا التيار الفكري قامت الحركة الفلسفية الكبرى في الإسلام التي يمثلها ابن باجة وابن الطفيل وابن رشد وأمر هذه الحركة معروف أفاضت في حديثه التواريخ...

ذلك ما كان من تأثير ابن حزم، ودفاعه عن الاشتغال بالمنطق وحث الناس على مطالعة الكتب الفلسفية ، وتشديده على الأخذ بالتفكير الموضوعي في قضايا الفقه والدين [84]

[84] عبد اللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي، ص 115

وقد سجل له التاريخ انتصارات هائلة في ثقافات شتى ، وعلوم مختلفة خاصة وأن اهتماماته بالعلوم الدينية والأخلاقية والفلسفية والنفسية جعلتنا نفهم كثيرا عن بيئته ومجتمعه[85]

وهكذا نكون قد " عرفنا ابن حزم " أموي الميل " وهو شاعر وكذلك عاش وهو فقيه وهكذا كان ، وهو مفكر ، ولا غرابة في ذلك بل الغرابة أن يكون غير ذلك ....؟ ! [86]

[85] محمد أحلوش أهامي، الترجمة الذاتية في الأدب الأندلسي من خلال أعمال ابن حزم، ص 80

[86] عبد اللطيف شرارة، نفس المرجع السابق، ص 94

الفصل الثاني

تجليات الرسالة

المبحث الأول:

إحاطة بالرسالة

1- دواعي كتابة الرسالة

2- من سبق ابن حزم لموضوع الحب

3- رأي بعض المستشرقين في الرسالة

المبحث الأول : إحاطة بالرسالة

يعتبر كتاب طوق الحمامة من أهم الكتب التي درست موضوع الحب في العصر الوسيط في الشرق والغرب، في العالمين الإسلامي والمسيحي.

" تتبع الكتاب أطوار الحب، وحلل عناصره ، وجمع فيه بين الفكرة المفلسفة والواقع التاريخي وواجه قضاياه بصراحة ووضوح" [87]

لقد قاوم هذا الكتاب المتميز " طوق الحمامة" محن الزمن " لأن روائع الفكر الإنساني تتميز بإمكان نسخها إلى مالا نهاية وانتقالها عبر القارات والمحيطات ، حتى قبل أن تخترع الطباعة " [88]

وقد ترجم إلى لغات متعددة من العالم، كلها بالاعتماد على مخطوطة مشرقية ، كانت الأساس لكل ما طبع وحقق لهذا الكتاب .

لقد عزز ابن حزم نظريته في الحب بأخبار مختلفة جاعلا من ذلك دعما لآرائه ، كما جعل سيرته العاطفية نموذجا للاقتداء القصد منه النصح والإرشاد، كما استشهد بالحياة العاطفية لأصدقائه، وفي كل جانب من الروايات التي ذكرها يؤكد صدقها بشهادة شخصية وقعت منه أو لأحد أولئك الذين عرفهم.

كل ما سبق ذكره يتخلله أشعار جميلة تستدعيها المناسبة وهذه الأشعار تشكل ديوانا كبيرا ، كان الجانب الأكبر منها ذو طابع فلسفي عميق، الفاصل بينها طبيعة كل موضوع.

لقد استند ابن حزم إلى ثقافته الفلسفية العميقة وتكوينه الديني وانتمائه الاجتماعي في حديثه عن هذه الظاهرة النفسية التي لازمت الإنسان منذ ظهوره

بدليل قول الطاهر أحمد مكي : " كان طوق الحمامة " أروع كتاب درس الحب في العصر الوسيط، ... وكان ابن حزم الدرس الواقعي في كل خطاه ، أفكاره محلقة ، وقدماه على الأرض ويصدر في

---

[87] ابن حزم، طوق الحمامة ، تحقيق د ، محمد يوسف الشيخ محمد وغرير يوسف الشيخ محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، المقدمة، ص 6

[88]

نظريته عن تجربة عميقة ، ذات أبعاد إنسانية واسعة ، وعن إدراك ذكي لطبائع البشر، وسير الحياة فجاءت نتائجه صادقة، لما تفقد بريقها ولا توهجها، وإنها لا تقف الآن في مستوى أرقى الدراسات عن الجنس والحب" [89]

1- دواعي كتابته للرسالة:

المعروف عن ابن حزم الفقيه الظاهري، أنه يتميز بالشدة وقوة الجدل كان بعيدا كل البعد عن اللين إذا تصدى أحد لآرائه لذلك كان صعبا علينا ونحن في طور هذا البحث كوننا مبتدئين أن نفهم لماذا تطرق ابن حزم للكتابة في موضوع الحب.

إلا أننا في خوض غمار حياته ، ظاهريته التي تميز بها المرجعية العلمية لديه، المنهج العقلي والعلمي الذي اتبعه يبين لنا خفايا هذه الشخصية التي استطاعت الغوص في أعماق النفوس البشرية مثمرة من ذلك " رسالة طوق الحمامة"

هذه الرسالة التي تغوص في أعماق الحب وتحليله وذكر أصنافه وأنواعه جاءت إجابة لطلب صديق لصاحبنا – ابن الحزم – حيث يقول : " فإن كتابك وردني من مدينة المرية [*90] إلى مسكني .... وكلفتني أعزك الله أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة ، لا مستزيدا ولا مفتنا لكن موردا لما يحضرني على وجهه ويحسب وقوعه فبادرت إلى مرغوبك"[91]

كان هذا هو المبرر لكتابة الرسالة ، إلا أن ابن حزم الفقيه أخذ بقول أبي الدرداء – رضي الله عنه – حين قال : " احموا النفوس بشيء من لا باطل ليكون عونا لها على الحق " جاعلا هذا القول أساس ومنطق الدفاع لديه فكان هذا الجانب الشرعي الديني للمبرر المذكور سابقا.

---

[89] ابن حزم ، طوق الحمامة، تحقيق أحمد مكي، المقدمة ، ص 9-10

[*90] المرية : مدينة ساحلية إسبانية

[91] فاروق سعد ، رسائل ابن حزم، ص8

لم يسلم ابن حزم من رأي بعض الباحثين والدارسين له، فقاموا بتحليلات أوصلتهم إلى عدم اقتناعهم بالمبررات التي ذكرها ابن حزم فوجدوا أن وراء كتابة هذه الرسالة دوافع أخرى كطه الحاجري الذي قال : " لابد لهذا الحافز النفسي من ملابسات التي تملك أن تثيره، وتبعثه من مكمنه إذا صح أن صديقه هذا اقترح عليه ، وليس ما يمنع منه ، فقد صادف إذن اقتراحه هوى في نفسه" [92]

ومما لا شك فيه أن ابن حزم كان يعاني محنة نفسية قاسية نتيجة الغربة والكآبة التي كان يعيشها – التي سبق ذكرها في الفصل الأول من هذا البحث.

كان هناك دافع أو حافز وراء تسجيل التجربة الشخصية وأحداث الحياة الماضية ، بهدف نقل لكل قارئ للرسالة باب المشاركة في الآلام والأفراح التي مر بها صاحب الرسالة أو بهدف ، دافع أن يتخذ القارئ موقف معين من واقع الرسالة .

ومهما تكون الدوافع النفسية لا تخرج عن إطار الأربعة: الإحساس والتفكير ، الشعور ، والحدس وهي الحوافز التي يراها يحي إبراهيم عبد الدايم : " الإحساس ، والتفكير والشعور والحدس وهي الحوافز التي يراها عالم النفس" كارل يونج " توجه الإنسان في أفعاله ويرى أنه يصعب وضع أي فرد داخل تقسيم معين من هذه التقسيمات فليس من العادة أن يظهر الناس سيطرة حافز واحد ، منها سيطرة تامة " [93]

كما أن هذا الموضوع " الحب" لم يكن يشغل ابن حزم وصاحبه الذي طلب إليه الكتابة في هذا الموضوع بل شغل الناس الذين عاصروا ابن حزم داخل الأندلس.

فكان ما يدعم هذا هو مقال للدكتور طه حسين كان عنوانه " الحب " كتب هذا المقال سنة 1949م ورد فيه " ونقرأ كتاب ابن حزم فنرى أن الحب لم يشغله وحده ولم يشغله مع صاحبه الذي طلب إليه

---

[92] طه الحاجري ، ابن حزم صورة أندلسية ، ص 156

[93] يحي إبراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ص 32

تأليف الكتاب وحدهما، وإنما الظاهر أنه كان يشغل الناس جميعا في اسبانيا المسلمة لعهد ابن حزم ولعله كان يشغل المثقفين والمحتازين أكثر مما كان يشغل غيرهم من الناس"[94]

كان صاحبنا صاحب صبر كبير قادر على تحمل كل الصعاب التي اعترضت طريقه، تمسك بالصدق والأمانة لما نقله لنا ، هذا ما أدى إلى نجاح ما كان يصبو إليه.

تذكره للحقائق كان ممزوجا بالمعاناة ابتعد بذلك عن الخيال الطليق خلق بذلك نوع من الربط العاطفي بينه وبين من يقرأ رسالته حين قام بإفشاء شعوره رسم خطة تؤثر في نفس المتلقي.

فهذه الشروط مجتمعة أو متفرقة كلها أو بعضها ليست ضرورية الحضور بقدر ما يضيف حضورها، وتماسكها تميزا ونجاحا للتحليل النفسي والتوغل في أعماق التفكير البشري وهذا ما يثبت أن هذا الجانب من اختصاص مبدعين متخصصين في هذا المجال ليست سهلة المنال لأي مفكر كان ، كما يتراءى لنا من أول وهلة .

إذن هي العودة إلى الماضي بخيره وشره، والحديث عن هذا الماضي في فترة حرجة هو بمثابة عزاء للذات وحنين إلى الماضي في عصر صعبت فيه الظروف ، وأصبح المستقبل غامضا والحاضر مضطربا كشف عن جزئيات ماضية .... !؟

هذا يدل على غنى كتاب " طوق الحمامة" وتعدد هموم ونوازع صاحبه تضمن في ثناياه نوع من التفسير والتبرير والاعتذار اعتبر مزيجا من دوافع نفسية إلى اجتماعية تقود للفكر وأخرى للسياسة مغلفة بطابع تاريخي رائع.

2- من سبق ابن حزم في موضوع الحب:

---

[94] د. عبد الرؤوف سعد، الرسالة، ص 15

المعروف عن ابن حزم أنه بعيد عن التقليد والمحاكاة كونه ظاهري إلا أن إبداعاته لا تخلوا من الثأر – فشتان بين التأثر والتقليد – فنجد عبارة : " الأرواح أكبر مقسومة لكن على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي ومجاورتها في هيئة تركيبها " [95]

هذا الكلام نجده قد ورد في كتاب الزهراء على النحو التالي:

" زعم بعض المتفلسفين أن الله جل ثناؤه – خلق كل روح مدورة الشكل على هيئة الكرة ثم قطعها أيضا فجعل في كل جسد لقي الجسد الذي قطع من النصف الذي معه ، كان بينهما عشق للمناسبة القديمة وتتفاوت أحوال الناس في ذلك على حسب رقة طبائعهم" [96]

ويذكر . د . إحسان عباس أن كتاب الزهراء دخل الأندلس في أوائل القرن الرابع على أكثر تقدير ، وقد عارضه أحمد بن فرج الجبائي فألف على نسقه كتاب " الحدائق" للحكم المستنصر واقتصر فيه على أشعار الأندلسيين ... وكان ابن حزم معجبا بالكتابين، وهو يقول عن كتاب ابن فرج [97] :" أحسن الإختيار فيه وأجاد فبلغ الغاية فأتى الكتاب فردا في معناه" [98]

أما عن موضوع الحب فهو قديم فالبيئة العربية في العصر الجاهلي عرفت موضوع الحب ، ويظهر ذلك من خلال الشعر والحكايات والأسمار التي كانت تميز ذلك العصر وتميز الحب آنذاك بالوقوف على الأطلال ، الأهم من ذلك العذرية التي كان يتحلى بها.

والجدير بالذكر أن موضوع " الحب" ليس جديدا على زمان ابن حزم وبعده في الفكر والأدب العربي الإسلامي حيث سبقه الجاحظ بحوالي قرن من الزمن للكتابة حول " العشق والنساء" كما تطرق إليه " إخوان الصفا" وتقريبا في نفس الفترة تناوله " المسعودي" في كتابة " مروج الذهب" كما نجد بعده الغزالي

---

[95] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 56

[96] النصف الأول من كتاب الزهراء، تحقيق لويس نيكل ومساعدة إبراهيم طوقان : بيروت 1932

[97] حاجي أمباركة رسالة لنيل شهادة الماجستير ، ص 89

[98] ابن حزم ، طوق الحمامة ، تحقيق عبد الرؤوف سعد، ص 15

في القرن الخامس بموضوع الحب في كتابه " ميزان العمل" " وإحياء علوم الدين" وفي القرن السادس كتب " ابن القيم" الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي " وذلك للشفاء من الحب " [99]

إلا أن ابن حزم قد فاق كل هؤلاء في دقة منهجه وتسلسل أفكاره وترابط بحثه ورقة حسه وبعد غوصه.

ج- رأي بعض المستشرقين في الرسالة:

كان لهذا كتاب – طوق الحمامة – حصيلة كبرى وحظ الأسد من الاهتمام باحثين حيث طبع قبل نحو قرن من الزمن وأعيد طبعه مرارا وترجم إلى أشهر لغات العالم.

كانت أول طبعة " أخرجها المستشرق الروسي د. ك بتروف سنة 1914م [100]

كان أغلب من درس هذا الكتاب من المستشرقين فجعلوا هذا الكتاب مطية لأفكارهم وأرائهم فقد تكلفوا بالاستدلال بنصوص هذا الكتاب فخرجوا بنتائج هي في الحقيقة الأمر ثمار ما تبخر في رؤوسهم لا ما أرشدهم إليه ابن حزم – رحمه الله –

فمن هؤلاء من :

- ادعى إسبانيته زاعما أن هذا الكتاب ثمرة نسبه النصراني وبيئته الأوروبية ومزاجه وأخلاقه الاسبانية !!
- وآخر يتخيل ابن حزم وأصحابه من الأدباء وطلبة العلم جماعة مزعومة يتميزون بالأناقة ويرتدون أفخم الثياب في أحدث الأنماط يفتنهم الجمال، ويستهويهم الطبيعة وتطربهم الموسيقى
- وثالث، يصرح بأن ما نقرؤه في هذا الكتاب من أدب صاف وروحي وعاطفة رقيقة لا يمكن أم يكون عربيا خالصة بل هو بقايا (المسيحية) في أعماق روحه[101]

---

[99] المقدمة Leon bercher le collier du pigeon ou de l'amour et des am an ts (taoupal hamama filulfawaallaf) 1949 Editions CARBONEL

[100] الأول هو المؤرخ الإسباني يانتشت البرنس، والثاني غرسيه غوهث والثالث رينهارت دوزي ، وتجد بحوثهم ومقالاتهم مترجمة في " دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، للدكتور الطاهر أحمد مكي ص 115-136-67-155 (ط:4 / القاهرة 1993)

لنجد آخر يخرج الكتاب في طبعة سقيمة علميا، لكنها مزودة بصورة مرسومة لرجال ونساء هي – في زعمه– : أجمل اللوحات الفنية لكبار الفنانين العالمين [102]

مع أنه لا يخفى على مثله ولا على غيره حكم الإسلام في تحريم الصور وبالأخص ماذكره ابن حزم في كتابه " المحلى بالآثار" !!

---

[101] الأول هو المؤرخ الإسباني يانتشت البرنس، والثاني غرسيه غوهث والثالث رينهارت دوزي ، وتجد بحوثهم ومقالاتهم مترجمة في " دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، للدكتور الطاهر أحمد مكي ص 115-136-67-155 (ط:4 / القاهرة 1993)

[102] طبعة دار الهلال الثانية ، القاهرة 1996م تحقيق د. الطاهر أحمد مكي

المبحث الثاني:

البنية الهيكلية للرسالة

1- دلالة العنوان

2- طريقة ابن حزم في التأليف (تقسيم وتبويب الرسالة)

3- الشكل الفني داخل الرسالة (بين النثر والشعر)

المبحث الثاني: البنية الهيكلية للرسالة

البنية الهيكلية للرسالة فيها دلالة على الهدف منها كون اختيار العنوان والجانب الفني يبعث في القارئ نوع من التمعن والتدقيق ليقف أمام هذا العلمي الكبير متعجبا ومندهشا لما فيه من آثار الذكاء ، والدقة البالغة . يكشف لنا قدرته الأدبية المتميزة ويظهر التداخل الحاصل بين الجانب الأدبي والفلسفي والتاريخي والاجتماعي..... لدرجة يصعب الفصل بينها.

1- دلال العنوان:

إذا كان وجه الإنسان يدل عليه، ومطلع القصيدة يكشف عن نواتها الصوتية والمعجمية والدلالية فإن العنوان يحيل على دلالة معينة، إن لم نقل أنه يشكل نصا موازيا لما هو متضمن بين دفتي كتاب ما ، وهو الذي يحدد أفق انتظار القارئ ومسار تأويله للنص وبتعبير كيليطو : " العنوان المشرق يضيء الطريق الذي ستسلكه القراءة والطريق الذي سبق لها أن سلكته " [103]

" ولكني حين أجدني أصل إلى الحيرة في سر هذه التسمية أتوقف عند " الجمال" و " التميز" وكأني بابن حزم يقول : هذا الكتاب يتحدث عن العلاقة السرية بين الجمال والحب، أو هذا الكتاب بين الكتب كطوق الحمامة بالنسبة للحمامة ، من حسن الدلالة والطاعة ، فأضيف إلى الجمال والتميز عنصر " الطاعة" وهو عنصر هام في مفهوم الحب"[104]

وإذا تأملنا " طوق الحمامة في الألفة والآلاف " لابن حزم ، فإننا نجد هذا العنوان يحمل مفاهيم عدة ، أولها مفهوم " الطوق " الذي يدل على " حلي يجعل في العنق ، وكل شيء استدار فهو طوق .... والمطوقة الحمامة التي في عنقها طوق والمطوق من الحمامة ما كان له طوق "[105]

---

[103] إحسان عباس رسائل ابن حزم – ج1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص 37

[104] عبد الفتاح كيليطو، " الغائب" ص 27

[105] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة " طوق "

أما " غرسية غوميث" فيرى أن كلمة " الطوق" تعني " عقد" ويعلق الطاهر أحمد مكي على هذه الفكرة بقوله : " ولكن أليس من الأفضل أننا بصدد ما يدعى في الغرب منذ الإغريق" عنق الحمامة " وكان رمزا لثورة لا تنفذ من الألوان "[106]

وكان الحمام يستعمل لدى العرب في تبادل الرسائل على غرار الإغريق والرومان:

" استعمل المسلمون الحمام كوسيلة من وسائل الاتصال (حمام الرسائل) الرسائل الجوية كان يتم ربطها بأحد أجنحة الحمام وهذا لا يمنعها من الطير وتم التخلي عن بريد الحمام خلال القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي، وقد عرف العالم العربي والإسلامي هذا النوع من البريد (بريد الحمام) منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)

إن معرفتنا لأصل التسمية ودلالة العنوان تقودنا إلى التكلم عن ماهية الحب فكلمة طوق الحمامة لها علاقة وطيدة بالجمال الذي هو مثار الحب فجعل ذلك للدلالة على تذوق الجمال واستلهامه له (ما يميز سائر لون الحمام هو الطوق)

موضوع الحمام ، رقاص الحب أو (الحبائب) والسلم والسعادة.

قد ألهم شعراء العرب من كل الدول والأمصار الإسلامية ، ويتمتع هذا الطير في بلاد الإسلام كما في كل البلدان بشعبية كبيرة ، وبحب عميق من طرف الجمهور ، كما يمثل كل من الذكر ، والأنثى رمزا للسعادة والهناء والصدق في المعاشرة"[107]

والحمامة في تراثنا الشعري العربي تفيد المحبة والصفاء ، والمودة والحب والوفاء.فالحمام قد حظي بمكانة تشبه مكانة البلبل أو القمري في تراث اللغة الانجليزية فهو يمثل الحب والحرية معا، الحمام يمثل في بعض الأحيان حلم الإنسان بالطيران إلى غايته، لولا أن الأرض تقيده إليها بقيود ثقال.

---

[106] الطاهر أحمد مكي " دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة" ص 294

[107] الحمام : La cohomle : lhamamimememagcgojredie delislam . paris Maisoumeure et larosé 1971 tni p p : 1972-1971

ويقودنا الحديث عن الحمامة إلى الإشارة إلى أسطورة الحمامة في قصة الطوفان، إذ أن نبي الله نوح أرسل الحمامة من السفينة ليرى هل هناك يابسة على وجه الأرض ، فعادت إليه وفي منقارها ورقة زيتون دلالة على وجود اليابسة ، فصيغ لها عقد جزاء لها.

" ويشير الجاحظ في كتابه الحيوان " أن العرب والأعراب والشعراء فقد أطبقوا على أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح ورائدة ، وهي التي استعجلت عليها لطوق الذي في عنقها، وعند ذلك أعطاها الله تلك الحلية ، ومنحها تلك الزينة بدعاء نوح – عليه السلام– حين رجعت إليه، ومعها من الكرم ما معها، وفي رجليها من الطين والحمأة ما برجليها ، فعوضت من ذلك الطين خضاب الرجلين ومن حسن الدلالة ، والطاعة طوق العنق"[108]

اتفق الجميع على أن الحمامة رمز الخير والتفاؤل، وكانت الحمامة قد حملت البشرى والفرحة إلى أولئك الذين أنجاهم الله من الغرق زمن نوح – عليه السلام– فبذلك دلتهم على أن الأرض اليابسة توجد على مقربة منهم.

أما (ظل الغمامة) فيضرب مثلا لما لا يدوم بل يسرع انقضاؤه

كما قال ابن معتز:

ألا إنما الدنيا كظل غمامة إذا ما رجاها المستظل اضمحلت

فلا تك مفراحا إذا هي أقبلت ولا تك مجزاعا إذا هي ولت

وقد قيل : ستة أشياء لا ثبات لها: ظل الغمامة ، وخلة الأشرار وعشق النساء ، والثناء الكاذب، والسلطات الجائر [109]

---

[108] الجاحظ، الحيوان ، ص 196-195

[109] عبق الحق التركماني، مختصر طوق الحمامة، ص 97.98 (نقلا عن : الراغب الأصبهاني : محاضرات الأدباء (

ولكي لا يفهم طوق الحمامة في إطلاقيته ، فقد قيده الكاتب بالألفة والآلاف ، والحب الطاهر العفيف ، وفي هذا تقيد للمعني ، فالحمامة تم تقييدها ، وتطويقها بموضوع الحب الطاهر النقي ، والدليل على ذلك ما تفيده كلمة ألف التي تدل على أن :

" ألقت الشيء، وألفت فلانا، إذا أنست به، وألفت بينهم تأليفا إذا جمعت بينهم بعد تفرق ، وألفت الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض.... والألف والأليف والآلاف جمع ألف .... ويقال فلان أليفي وإلفي وهم آلافي، وقد نزع البعير إلى الالافة وهو جمع آلف ، والآلاف جمع آلف، وقد ائتلف القوم ، ألف الله بينهم تأليفا"[110]

وأورد الجاحظ في الحيوان قوله " من كرم الحمام الإلف ، والأنس والنزاع والسوق وذلك يدل على ثبات العهد وحفظ ما ينبغي أن يحفظ ، وصون ما ينبغي أن يصان ، وأنه لخلق صدق في بني آدم، فكيف إذا كان ذلك الخلق في بعض الطير " [111]

فالموضوع محدد من خلال عنوانه ، فهذا دليل على حدة الموضوع وطرافته وخصوصيته.

وحين نفكر بعمق في عنوان الكتاب تتبادر إلى ذهننا عدة تساؤلات فمثلا لماذا اختار الكاتب لفظ " الألفة والآلاف " ولم يقل العشق أو الحب وما إلى ذلك مما يشاكل هاتين الكلمتين ؟؟؟ !

يقودنا الأمر إلى ماثلتها في الحديث الشريف في الأرواح:

" الأرواح جنود مجندة فما توافق منها ائتلف وما تنافر منها اختلف"[112]

هنا نلاحظ أن الرسالة لها دلالة أعم وأشمل من كلمة " الحب" ويعود السبب إلى شخصيته الدينية، وتكوينه الفقهي.

---

[110] ابن منظور ، لسان العرب، مادة " ألف"

[111] الجاحظ ، الحيوان، ص 227

[112] صحيح البخاري

مما سبق يتضح مقصود ابن حزم من العنوان الذي اختاره لهذه الرسالة إذا يشير بجزئه الأول إلى الحب الثابت، والوفاء الجازم، والمودة الأكيدة التي تلازم صاحبها ملازمة " طوق الحمامة" لها، ويشير بجزئه الثاني، إلى الحب الذي يزول لنقص في صاحبه، من قلة وفاء وصدق، أو لأنه لم يكن في أصله إلا (ضربا من الشهوة) ، فهذا مثل (ظل الغمامة) لا يدوم بل يسرع انقضاؤه، وتمام العنوان يوضح أن موضوع الكتاب ليس فقط في (العشق) وإنما هو أعم ، فيشمل جنس المحبة والمودة والتآلف.

2- طريقة ابن حزم في التأليف (تقسيم وتبويب الرسالة)

لم يكن ابن حزم معنيا بالتأليف في الحب كعنايته بالعلوم الأخرى لأن كتاب" طوق الحمامة" كان استجابة لرجاء صديق له يطلبه أن يكتب له كتابا أو رسالة في (صفة الحب، ومعانيه وأسبابه وأعراضه).

عندما نراجع الكيفية التي يعرض فيها ابن حزم منهجه في البحث، أننا نخال أنفسنا نقرأ منهج دراسة علمي لباحث معاصر، قد أحاط بمناهج البحث الحديثة وملك ناصية أصولها وأساليبها[113]

إن الدارس لهذه الرسالة يلاحظ الطريقة الدقيقة والمتميزة التي تعامل بها ابن حزم مع رسالته في الحب.

كما أننا نلاحظ أن كتاب " طوق الحمامة" حافل بجوانب ونماذج تجمع بين الطرافة والجدة وتعكس شخصية صاحبنا ومجتمعه.

---

[113] مقدمة طوق الحمامة، تحقيق وتقديم فاروق سعد ، ص 36

كان عرضه لأي فكرة أو قضية مهما كانت ، ضمن حدود مخطط مرسوم ووفق منهج معلوم : " والواقع أنه من النادر أن نجد مثل هذا الوعي المنهجي في التأليف" [114]

وقد كتب ابن حزم " طوق الحمامة" في هيئة رسالة ، وفصلها تفصيلا منهجيا مدعما كل ذلك بملاحظات دقيقة.

قسمت الرسالة إلى ثلاثين بابا يحوي عدة فصول تحدث ابن حزم في كل فصل عن موضوع يخص الحب فجاء التقسيم على النحو التالي:

- أصول الحب في عشر فصول
- أعراض الحب في اثني عشرة فصلا
- آفات الحب في ستة فصول
- في قبح المعصية في فصل واحد
- في فضل التعفف في فصل واحد.

لكننا خالفنا في نسق بعض هذه الأبواب الرتبة المقسمة في درج هذا الباب الذي هو أول أبواب الرسالة فجعلناها على مباديها في منتهاها واستحقاقها في التقدم والدرجات والوجود ومن أول مراتبها ، إلى آخرها وجعلنا الضد إلى جنب الضده، فاختلف السببان في أبواب يسيرة [115]

قالها ابن حزم مبينا تباينا في تقسيم الرسالة – طوق الحمامة–وأن هناك اختلاف في تراتيبها.

" ولتوضيح التغيير الذي طرأ على ترتيب أبواب الرسالة يمكن وضعها في الجدول التالي" : [116]

الخطة **1**	الخطة **2**
– باب في ماهية الحب	– باب الكلام في ماهية الحب

[114] نفسه ، ص 34

[115] ابن حزم، طوق الحمامة ، ص 15

[116] حاجي أمباركة: رسالة الماجستير ، ص 96-97-98

– باب في علامات الحب – باب في ذكر من أحب في النوم – باب في ذكر من أحب من نظرة واحدة – باب فيه ذكر من لا تصح محبته إلا مع المطاولة – باب فيه ذكر من لا تصح محبته – باب التعريض بالقول – باب الإشارة بالعين – باب المراسلة – باب السفير	– باب علامات الحب – باب مكن أحب في النوم – باب من أحب من نظرة واحدة باب فيه ذكر من لا تصح محبته إلا مع المطاولة – باب من أحب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها – باب التعريض بالقول – باب الإشارة بالعين – باب المراسلة
أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة : – باب الصديق المساعد – باب الوصل – باب طي السر – باب الكشف والإذاعة – باب الطاعة – باب المخالفة – باب من أحب صفة لم يحب بعدها غيها – باب القنوع – باب الوفاء – باب الغدر – باب الضنى – باب الموت	أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة – باب السفير – باب طي السر – باب الإذاعة – باب الطاعة – باب المخالفة – باب العادل – باب المساعدة من الاخوان – باب الرقيب – باب الواشي – باب الوصل – باب الهجر – باب الوفاء
الأوقات الداخلة على الحب – باب العاذل – باب الرقيب – باب الواشي	الأوقات الداخلة على الحب – باب الغدر – باب البين – باب القنوع

– باب الهجر – باب البين – باب السلو	– باب الضنى – باب السلو – باب البين
الختـــــــام – باب قبح المعصية – باب فضل التعفف	الختـــــــام – باب قبح المعصية – باب فضل التعفف

نرى بعد استعراضنا لتقسيمات الرسالة أن صاحبنا قد بدأها بالحديث عن ماهية الحب ومعانيه محللا ومناقشا نشأة الحب وتطوره، ومستقصيا علاماته ومظاهره، مستعرضا أنواعه ، ونماذجه .

وهكذا تراه يتتبع أحوال المحبين وعوارضهم ، فنجده يتحدث عن الوصل والهجر والوفاء والغدر .... الخ

ثم يتحدث عن صلة الحب بالشهوة ويعرج على موضوع الطهر والتعفف وينتهي به القول إلى أنه لم يحدثنا عن الحب بلغة الشعراء، بل هو اقتصر على الحقائق الواقعة التي لا يمكن وجود غيرها.

وهو في كل هذا واعيا كل الوعي بالأسس المنهجية للتأليف، ودقيقا في الخطوات المتبعة في رسالته.

في هذا الصدد يرى محمد أبو زهرة " أن الرسالة تمتاز بدقة التنظيم وحسن التبويب ، وأني لا أظن أن له كتابا آخر خيرا منها ترتيبا وتبويبا وأن لها فوق هذا الترتيب ، وذلك التبويب أسلوبا لا أحسب أن معاني كتبت في هذا الموضوع بأسلوب أجمل، وأرشق وأحسن ديباجة من هذا " [117]

حسب معلوماتنا البسيطة والمتواضعة في هذا البحث نظن أن لا أحد من الدارسين المجدين لهذه الرسالة يخالف أبو زهرة في الرأي من حيث ديباجتها وتبويبها وتنظيمها ، وقد رتبت ترتيبا منطقيا.

---

[117] محمد أبو زهرة ، ابن حزم حياته وعصره، ص 172

ذات تنظيم دقيق وتبويب حسن، فوضع الرسالة حيث اقتضت مناسبتها أن توضع، لا حيث اقتضى الترتيب المنطقي أن يكون " دليل على أنه حاول أن يخفف من أثقال عصره ويتحرر من قيود التفكير التي كانت تمنع معاصريه عن الحركة الحرة"[118]

ج- الشكل الفني داخل الرسالة (1- شعر ، 2- نثر) :

تقودنا هيكلة الكتاب نحو تأمل لغته، وما حوته من خصائص فنية سواء تعلق الأمر بشعر ابن حزن أو نثره الفني.

ونلاحظ أن كتاب " طوق الحمامة " يكشف بوضوح عن قابلية ابن حزم الأدبية (شعرا ونثرا) فقد خلت كتابات ابن حزم وفنونه النثرية من الوصايا والخطابة والعهود والتوقيعات والسبب يعود إلى أن هدفه لم يكن التقرب من الملوك من أجل العطايا كحال بعض الأدباء ... بل كانت كتاباته حافلة بالقيم العلمية فكثرت رسائله التي كانت موفورة الحظ من النظريات كرسالته التي خصها لدراسة الحب والمحبين (طوق الحمامة) ، " فأبدع فيها بشهادة الدارسين لهذه الرسالة " [119]

وتبرز الأسس الأدبية في حديث الفيلسوف ابن حزم – الخصب عن الشعر العربي القديم ونظمه لأشعار أملتها ظروف المقام والمقال، لدرجة أنه يكاد لا يترك قضيته معينة دون أن يطعمها بأبيات شعرية ، والأكثر من ذلك أن يمارس نوعا من النقد الذاتي الصريح للأشعار ومن ذلك قوله في تعليقه على الأبيات الشعرية التالية:

أرعـى النجوم كأنني كلفت أن ... أرعـــى جميع ثبوتهـــا والخنـــس

فكـأنها والليل نيران الجـــوى ... قد أضرمت في فكرتي من حندس

وكأنني أمسيت حارس روضة ... خضـــــراء وشح نبتها بالنجـرس

---

[118] الدكتور طه حسين، ألوان ، ص 114

[119] د. أبو زهرة ، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، وكذلك د. عبد الكريم خليفة، ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه

لو عاش بطليموس أيقن أنني أقوى الورى في رصد جري الكنس [120]

وقد وقع للمؤلف في هذه الأبيات تشبيه شيئين بشيئين في البيت الذي يبدأ بـ " فكأنما الليل ويقول " ولي ما هو أكمل منه وهو تشبيه ثلاثة أشياء في بيت واحد ، وتشبيه أربعة أشياء في بيت واحد، وكلاهما في هذه القطعة التي أوردها" [121]

وهو في ذلك مساير لفطاحل الشعراء العرب الذين جاؤوا بتشبيه ثلاثة (بثلاثة أشياء) في بيت واحد بالكاف وبغير كاف

ومن هنا تبرز سعة ثقافته الأدبية ، والبلاغية وعمق تخريجاته النحوية ، ورقة إحساسه بالجمال

والملاحظ أن ابن حزم انتبه إلى قضية نقدية مهمة وهي قضية الخيال ، باعتبارها قضية أساسية شغلت بال الفلاسفة المسلمين ونخص بالذكر منهم ابن سينا الذي يحدد " الخيال " أو " الصورة " بأنه " قوة .... تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية الخمسة ، وتبقى فيها بعد غيبه تلك الحواس" [122]

وتقوم " المتخيلة " أو " المفكر" كقوة تخيلية باستعادة صور المحسوسات المختزنة في الخيال أو الصورة ، وتنطلق منها في ابتكار وخلق صورة جديدة لم يدركها الحس من قبل وبتعبير الفارابي أنها " تحفظ رسومات محسوسات بعد غيبتها عن الحس ، وتركب بعضها إلى بعض ، وتفصل بعضها عن بعض في اليقظة والنوم ، تركيبات وتفصيلات بعضها صادق وبعضها كاذب " [123]

---

[120] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 30

[121] نفسه ، ص 30-31

[122] محمد أحلوش أهامي، الترجمة الذاتية ، نقلا عن (ابن سينا ، " الشفا" ، ص 36)

[123] نفسه نقلا عن (الفارابي " السياسات المدنية " ص 33)

من هنا يلتقي ابن سينا والفارابي في القول بأن القوة المتخيلة أو المفكرة تعمل على : " أن تركب بعض ما في الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الإرادة " [124]

وابن حزم كفيلسوف أندلسي ملم بمختلف الاتجاهات الفلسفية اليونانية ، والإسلامية وقد وصف هذه التصورات الفلسفية ذات الأصول اليونانية في نظرته للتخيل كأداة أساسية في عملية الإبداع الشعري، ومما يدل على ذلك هو تنبيه إلى طغيان الخيال على حياة الناس فهم يحبون أحلام اليقظة والخيال كبديل لهم عن مأساة الحياة لأن الإنسان قد يجد في الحلم تعويضا أو عزاء أو بديلا نفسيا عن عامل الواقع المثقل بالهموم والأحزان ، ولا غرابة في ذلك ما دام ابن حزم ورفاقه من متيقظي الذكاء في عصره، فقد عانوا الأمرين بسبب رفضهم لواقع سياسي ، واجتماعي جائر، وهذا ما يعبر عنه ابن حزم شعرا:

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت أطلعت الشمس كانت أم هي القمر

أظنهـــا العقـــل أبـــداه تدبـــره أو صورة الروح أبدتهـــا لي الفكر

أو صورة مثلت في النفس من أملي فقد تحيـــر في إدراكهـــا البصـــر

أولم يكن كـــل هـــذا فهمي حـــادثة أتـــى بها سببـــا في حتفي القـــدر [125]

وقد تبلغ رقة إحساسه ودقة وصفه لدرجة أننا نشعر أن ابن حزم قد تحول إلى شاعر عذري مما يقربه من الغزل المكشوف أو الفاحش.

وإننا لا نقصد من ذلك أن نصنف " طوق الحمامة " في أحدهما لأن هدف ابن حزم هو أن يوضح للقارئ العربي إطلاعه الواسع على مختلف الأغراض الأدبية المتحدثة عن المرأة قبل أن يضع خطا جديدا لظاهرة العشق كظاهرة إنسانية أساسها المحبة والألفة والابتعاد عن غزل الانتحار البطيء ، كما مثله

---

[124] نفسه نقلا عن (ابن سينا ، الشفا ، ص 37)

[125] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 37

العذريون أو الغزل الفاحش، والخروج عن الأغراض والتقاليد والنواميس الاجتماعية ، والدينية كما جسدها عمر بن أبي ربيعة [126]

وإلى جانب هذا نجد ابن حزم عنده قصائد وصفية تشعر فيها أنه كان يرسم بالقلم بدل الريشة ، وقوله وصف حية ودعوة الإنسان لعدم الاغترار بمظهرها الخارجي، وجل المظاهر الخارجية للأشياء:

وما أنا ممن تطيبه بشاشته ولا يقتضي ما في ضميري التجنب

أريد نفارا عن ذلك باطنا وفي ظاهري أهل وسهل ومرحب

فإني رأيت الحرب يعلوا اشتعاله ومبدؤها في أول الأمر ملعب

وللحية الرقشاء وشي ولونها عجيب وتحت الوشي سم مركب

وكم مأكل أربت عواقب غيه ورب طوى بالخصب آت ومعقب

وإن فرند السيف أعجب منظرا وفيه إذا هز الحمام المدرب

وأجهل ذل النفس عزة أهلها إذا هي نالت ما بها فيه مذهب

فقد يضع الانسان في الترب وجهه ليأتي غدا وهو المصون المقرب

فذل يسوق العز أجود للفتى من العز يتلوه من الذل مركب

وكم مأكل أربت عواقب غيه ورب طوى بالخصب آت ومعقب

وما ذاق عز النفس من لا يذلها ولا التذ طعم الروح من ليس ينصب

ورودك نهل الماء من بعد ضمأة ألذ من العل المكين وأعذب [127]

---

[126] أنظر ديوان ابن أبي ربيعة : ص 71-88-90-109-112-115-117-120-124-126-127-132-133-146-149-151

[127] ابن حزم ، طوق الحمامة، ص 99

ونشير إلى أن ابن حزم يعتمد الشعر للاستشهاد أو ضرب المثل أو تدعيم الرأي في مناقشته لقضية فكرية أو فلسفية أو كلامية ومن ذلك قوله في الأخلاق :

إنما العقل أساس ..فوقه الأخلاق سور

فتحل العقل بالعل ...م وإلا فهو بور

جاهل الأشياء أعمى ... لا يرى حيث يدور

وتمام العلم بالعد ..... ل وإلا فهو زور

وتمام العدل بالجو .... د وإلا فيجور

وملاك الجود بالنجـ ..... دة والجبن غرور

وكمال الكل بالتقـ..... وى وقول الحق نور

ذي أصول الفضل عنها حدثت بعد النزور [128]

ونجد المستوى المعجمي ، الذي نقصد به مجموع الوحدات اللغوية التي يوظفها الشاعر في بناء نظمه الفني، سواء تعلق الأمر بالأسماء أو الصفات أو الأفعال أو الحروف .... لأن هذه المعطيات هي أساس بنائه اللغوي والشاعر في تجربته الفنية يرتد للقواميس اللغوية ، ولثقافته وواقعه الاجتماعي وحالاته النفسية لكي ينتقي العبارات المعبرة عن هذا الواقع ، والملاحظ أن النقاد العرب القدامى لم يهتموا كثيرا بالمعجم بقدر ما تركز نقاشهم حول قضية اللفظ والمعنى والصدق والكذب والطبع والصنعة في الشعر، ولم يكترثوا بالمعجم الشعري الذي أصبح مثقلا ببعض المصطلحات العلمية والفلسفية والدينية والصوفية وغيرها ، بقدر ما أشاروا إلى أن بعضها يقلل من حرارة الشعر وعذوبة مساره.

[128] ابن حزم الأندلسي، رسائل ، ج : 1 ، ص 380

وإذا قمنا بقراءة عميقة لشعر ابن حزم الوارد في كتاب " طوق الحمامة" يمكننا أن نصف معجمه الشعري في أربعة حقول دلالية كبرى هي : الحقل الديني ، والحقل الفلسفي والحقل الاجتماعي ثم الحقل الذاتي ، فهذه الحقول ليست متساوية ، إذ يحتل الحقل الديني المرتبة الأولى متبوعا بالحقل الذاتي، فهذه ثم الفلسفي وأخيرا الحقل الاجتماعي.

ونستطيع أن نفسر هذه التراتبية لكون المعجم الديني جاء نتيجة لتكوينه الإسلامي، وتشبعه بمبادئ هذا الدين الحنيف ولا ننسى أن ابن حزم يعتبر من كبار علماء عصره، ويحظى بتقدير واحترام كبيرين من لدن العامة والخاصة ، ثم إن تكوين ابن حزم كان تكوينا دينيا.

فجل هذه العوامل الذاتية ، والموضوعية هي التي أهلت معجمه الديني لاحتلال مركز الصدارة في " طوق الحمامة" ويأتي بعد الحقل الذاتي البارز في حديث ابن حزم عن سيرته الذاتية ورصد مختلف مواقف هذه الذات في مواطن القوة والضعف، وحالات القرب من المحبوب والابتعاد عنه، مما جعله يعكس بوضوح شخصية ابن حزم وتجاربه الحياتية ونفسيته المضطربة ، ووضعه الاجتماعي غير المستقر ويقودنا هذا الحقل نحو المعجم الفلسفي لابن حزم ، إذ بمجرد التلفظ باسمه ترتد أذهاننا نحو مذهبه الظاهري لدرجة ارتباط هذا الاسم بشخصه ويبدو حضور مذهبه الفلسفي واضحا وجليا في قصائده.

أما الحقل الاجتماعي فيشمل على كل ما يتعلق بالمجتمع الأندلسي وقيمه وأخلاقه وعاداته ، وتقاليده، إذ لا ننسى أن ابن حزم كان في قمة الهرم الاجتماعي ، ومسئولا عن بعض التقاليد والعادات في مجتمع ، ويمكن تلخيص الحقول الدلالية الأربعة التي أشرنا إليها في الشكل التالي:[129]

[129] محمد أحلوش أهامي، الترجمة الذاتية، ص 273

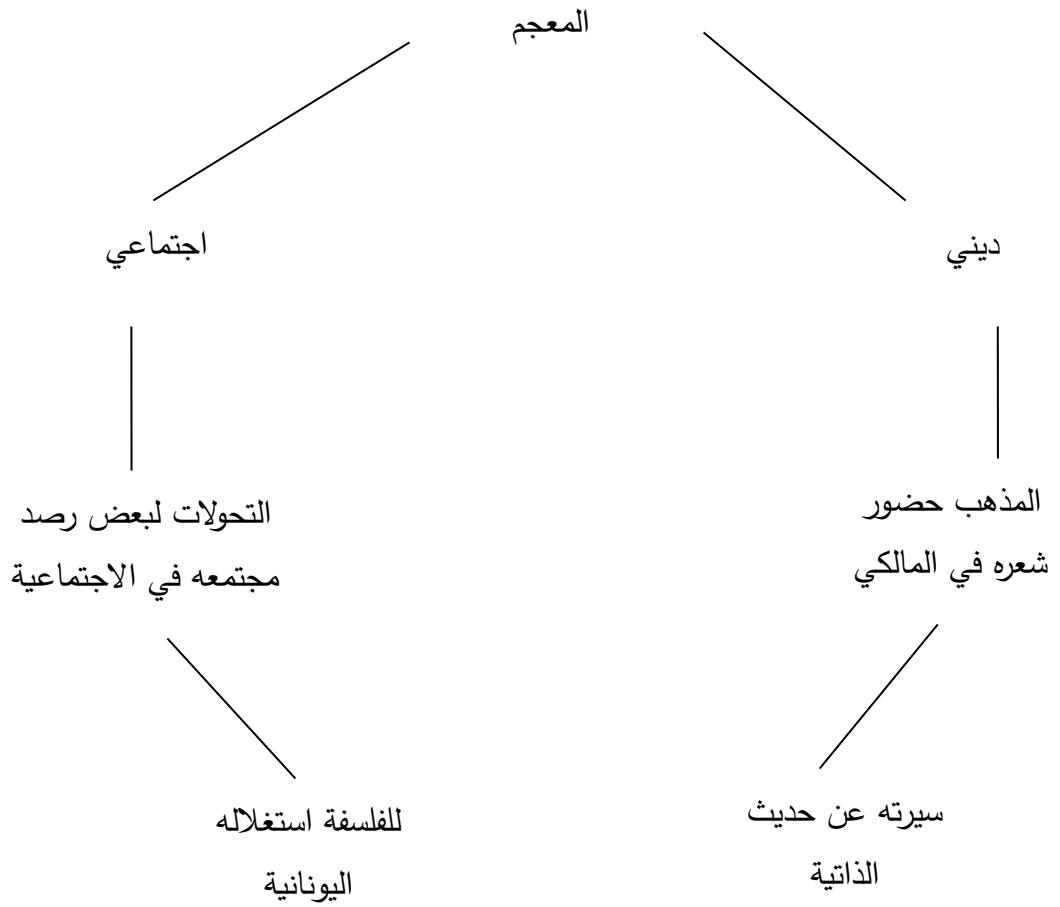

ونستخلص أن نشعر ابن حزم قد احتوى عدة مضامين يجملها الدكتور الطاهر أحمد مكي في قوله: " فإن كان ابن حزم يتناول فيه الحب ودواعيه والوصل ومتعته، والنفس ونوازعها ، والحزن وأسبابه

والتضحية ومواطنها، والصبر وثماره ، فقد غطى شعره كل هذه القضايا وما تصل بها من وصف ومدح ورثاء وحكمة وما من خبر إلا واستشهد عليه ابن حزم بأبيات من الشعر تأكيدا لروايته أو إظهارا لشاعريته أو استجابة لدوافع داخلية " [130]

إلا أننا لاحظنا أن ابن حزم قد اقتصر على ذكر شعره وحده في طوق الحمامة وهذا ما يدعونا للتساؤل حول ذلك حيث يقول:

الطاهر أحمد مكي: أكان ذلك إعجابا منه بنفسه وافتتانا بقدرته الشاعرية ، ورغبة في أن يسجل إبداعه وأن يدفع به ذواكر الناس عبر صفحات كتاب، يمثل الآن وفي عصره درة في عالم الفكر الإنساني ...؟ !

أما عن النثر [131] في الرسالة فقد جاء بطرائق فنية مختلفة منها التقرير ، والخبر والوصف، والتحليل نريدها باختصار في الجدول التالي :

نوع الأسلوب	الهدف منه	مثال من الرسالة "طوق الحمامة"
التقرير	أراد من خلاله أن يحيط بالشيء الذي يكتب عنه من جميع الجوانب	ومن عجيب ما يقع في الحب طاعة المحب لمحبوبه وصرفه طباعه قصرا إلى طباع من يحبه وترى شرس الخلق، صعب الشكيمة جموح القيادة ماضي العزيمة حمي الأنف أبي الحنسف فما أن يتنسم الحب ويتورط عمره ويعوم في بحره ، نتعود الشراسة لينا والصعوبة سهلة، والمضاء كلالة والحمية استسلاما
الخبر	كان الهدف منه التوضيح واستخلاص العبرة والملاحظة كثرته في الرسالة	ومن أرفع مشاهدته من الوفاء في هذا المعنى وأهوله شأنا قصة رأيتها عيانا ، وهو أني أعرف من رضي بقطيعة مبوبة وأعز الناس عليه ، ومن كان الموت عنده أحلى من هجره ساعة في جنب طيه لسر أودعه ، والتزم محبوبة يمينا غليظة

[130] د. الطاهر أحمد مكي، " دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة " ، ص 371

[131] حاجي أمباركة ، رسالة الماجستير (بتصرف) ص ، 99-100-101-102

	)مستقاة من واقع اجتماعي عايشه(	ألا يكلمه أبدا ولا يكون بينهما خبرا أو يفضح إليه ذلك السر على أن صاحب ذلك السر كان غائبا فأبى من ذلك وتمادى هو على كتمانه والثاني على هجرانه إلى أن فرقت بينهما الأيام
الوصف	أردا إعطاء صورة واضحة عن حياته ومجتمعه خاصة ما كانت تمر به الأندلس آنذاك	ولقد أخبرني بعض الرواد من قرطبة وقد استخبرته عنها، أنه رأى دورنا ببلاط مغيث بالجانب الغربي منها، وقد انمحت رسومها وطمست أعلامها وخفيت معاهدها وغيرها البلى، وصارت صحاري مجدبة بعد الأنس، وخرائب منقطعة بعد الحسن، وشعابا مفزعة بعد الأمن ومأوى للذئاب، ومعازف للغيلان ، وملاعب للجان ومكامن للوحوش، بعد رجال كالليوث وخرائد كالدمى تغيض لديهم النعم الفاشية تبدد شملهم فصاروا في البلاد أيادي سبأ
التحليل	أراد به إظهار عمق تفكيره من خلال ردأي ظاهرة إنسانية إلى بواعثها محاولا الغوص في أعماق النفس البشرية مستخدما المنهج الاستقرائي بين التحليل والبرهان لمعالجة ظاهرة الحب	وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال والشكل دأبا يستدعي شكله والمثل إلى مثله ساكن وللمجانسة عمل محسوس وتأثير وشاهد والتنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي الخفيف وجوهرها الصعاد المعتدل وسنخها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار كل ذلك معلوم بالفطرة في أحوال تصرف الإنسان فيسكن إليها والله عز وجل يقول "هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها "فجعل علة السكون أنها منه

كان لابن حزم قدراته فنية في النثر والشعر ، وكان قادرا على الإبداع في كلا الجانبين وبدافع منهجي سكت عن ذكر أشعار الآخرين ، وأفكارهم في هذه الرسالة كان من ورائه أن لا يسير على الطريق والمنهج الذي سار عليه العرب والمتقدمون ، ولا يركب مطية سواه لأن سبيله غير سبيلهم، كان

عليه أن يرى الأشياء عبر ذاته ومن خلال أحاسيسه ، تمتع بطاقة شعورية وقوة في التعبير جعل من الرسالة تحفة فنية غنية بقواعد السلوك والآداب.

الفصل الثالث:

زبدة البعد الفلسفي داخل الرسالة

المبحث الأول : ماهية الحب

1- تعريف الحب لديه

2- أقسام الحب ودرجاته

3- الحب بين الاختيار والاضطرار

المبحث الأول: ماهية الحب

الحب ظاهرة اجتماعية ظهرت منذ وجود الدنيا، فالحب لا يتم إلا في علاقة مع الآخر سواء كان هذا الآخر حيا أو جامدا فالإنسان يمكن أن يحب الله أو والديه أو صديقا أو أخا أو حيوانا أو جمادا ...إلخ.

إلا أن الحب يختلف من شخص لآخر حسب عواطفه، وشعوره نحو المحبوب والحب أمر طبيعي مباح في الشريعة الإسلامية فقد أحب الملوك والأمراء، والشعراء والأدباء والعلماء " ومن الصالحين والفقهاء في الدهور الماضية والأزمان القديمة من قد استغنى بأشعارهم عن ذكرهم ، وقد ورد من خبر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وشعره ما فيه الكفاية ، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة، وقد جاء في فتيا ابن عباس – رضي الله عنه – ما لا يحتاج إلى غيره حيث يقول : " هذا قتيل الهوى لا عقل ولا قود"[132]

هذا ما يقودنا للتساؤل عن ماهية الحب وتعريفه

1- تعريف الحب لديه:

والكلام حول ماهية الحب جاء في صدر الرسالة حيث يقول : " وأولها هذا الباب الذي نحن فيه، وفيه صدر الرسالة ، وقسم الأبواب والكلام في باب ماهية الحب ... ثم باب التعفف "[133]

ومن الصعب وصف معاني الحب لديه كونها جليلة دقيقة حيث يقول في هذا الشأن :" وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع"[134]

---

[132] د. إحسان عباس، رسائل ابن حزم ، ج1، ص 93

[133] نفس المرجع، ص 95

[134] ابن حزم، طوق الحمامة ، ص 15

قائلا أن الحب : " الحب – أعز الله – أوله هزل وآخر جد وقت معانيه لجلالته عن أن توصف ، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة إذ القلوب بيد الله عز وجل"[135]

فالحب عنده مقام مستلذ وعلة مشتهاة ، تزيد للمرء ما كان يأنف منه ويسهل عليه ما كان يصعب عنده.

2- أقسام الحب ودرجاته:

للحب عند ابن حزم ضروب لكل ضرب سبب قد يتجاوز الشكل أو الخلق، فهو ذات النفس وهذه الضروب هي :

- محبة المتحابين في الله عز وجل وهي أنواع منها:
  - الاجتهاد في عمل (مقرب إلى الله)
  - توافق في أصل النحلة والمذهب
  - لفضل علم يمنحه الإنسان
- محبة القرابة
- محبة الألفة والاشتراك في المطالب
- محبة التصاحب والمعرفة
- محبة السر
- محبة الطمع في جاه المحبوب
- محبة بلوغ اللذة (الغريزي)

وكانت رؤيته على أن المحبة تنقسم إلى خمس درجات كانت البداية من الاستحسان ثم الإعجاب فالألفة والكلفة وآخر درجاته الشغف، ونجدها بنوع من التوضيح عند الدكتور إحسان عباس كما يلي: " أولها الاستحسان وهو أن يتمثل الناظر صورة المنظور إليه حسنة أو يستحسن

---

[135] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 17

أخلاقه وهذا يدخل في باب التصادف، ثم الإعجاب وهو رغبة الناظر في المنظور .... ثم الألفة وهي الوحشة إليه متى غاب ثم الكلف وهو غلبة شغل البال به، وهذا النوع يسمى في باب الغزل بالعشق، ثم الشغف وهو امتناع النوم والأكل والشرب إلا اليسير وربما أدى ذلك إلى التوسوس أو إلى الموت وليس وراء هذا منزلة في تناهي المحبة أصلا " [136]

وأهم هذه الدرجات عند ابن حزم في العشق ، لأنه لا علة لها إلا اتصال نفوس ذاكرا أن علامات العشق تختلف عن علامات الحب الأخرى، معللا أنه " استحسان روحاني، وامتزاج نفساني وإنما التفاوت وعدم التكافؤ في الحب بين الطرفين راجعة إلى الحجب والطبائع الأرضية التي تحول دون أن تحس بالجزء الذي كان متصلا بها قبل حلولها حيث هي ، ، ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة"[137]

ج- الحب بين الاختيار والاضطرار:

إذا رجعنا إلى كتاب " طوق الحمامة" بالضبط في المقدمة: الكلام في ماهية الحب نجد ابن حزم قد ذهب إلى أن الحب" ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة إذ القلوب بيد الله – عز وجل- وهذا ما ذكرناه في العنصر السابق ، كما أنه قال في باب : " طي السر" ، " وما هذا الوجه بصحيح ، فحسب المرء المسلم أن يعف عن محارم الله – عز وجل – التي يأتيها باختياره ، ويحاسب عليها يوم القيامة وإما استحسان الحسن، وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به، ولا ينهي عنه، إذ القلوب بيد مقلبها ولا يلزمه غير المعرفة والنظر في الفرق بين الخطأ والصواب، وأن يعتقد الصحيح باليقين ، وإما المحبة فخلقة وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه المكتسبة"

وهذا يدل على إنكاره لمن يكتم حبه من أجل أن لا يسم نفسه بهذه السمة بين الناس، فارا منها متفاديا إياها لأن بزعمه هي صفة من صفات أهل البطلان.

---

[136] د. إحسان عباس، ص 37

[137] ابن حزن ، طوق الحمامة ، ص 20

ومما ذكرنا نستخلص إن الحب اضطراري ، حتى إنه قد أخرجه من دائرة (حركات الجوارح المكتسبة) !

لكن إذا تأملنا جيدا في مواضع ومواقف شتى من الكتاب دارسين عباراته الدقيقة حتى نجد – من الناحية العلمية– أن ابن حزم يرى إن الحب كسب محض، له مقدمات وتتخلله أسباب، فهو ينكر الحب من نظرة واحدة ، ويتعجب ممن يدعيه ولا يكاد يصدقه بل لا يعد حبه إلا ضربا من الشهوة ، ويخبر عن نفسه أنه ما لصق بأحشائه حب قط إلا مع الزمن الطويل [138] ... ونجد أنه يعترف من أن تمكن العشق وتغلبه على الفكر والعقل، من ابتلي به " إنما يتولد عن إدمان الفكر، فإذا غلبت الفكرة ، وتمكن الخلط وترك التداوي، خرج الأمر عن حد الحب إلا حد الوله والجنون ، وإذا أغفل التداوي في أوائل المعاناة قوي جدا ، ولم يوجد له دواء سوى الوصال"[139]

وقد أعطانا ابن حزم نموذجين – تطبيقا عمليا – من أجل الوقاية من التورط في الهوى الذي يتمكن من قلب المرء

النموذج الأول كان لمجهول – ربما أراد به نفسه ! لنصح غيره .... ، والثاني كان نابعا من تجربة شخصية عاشها.

" ولقد رأيت من أهل هذه الصفة (يعني الذين لا يحبون إلا مع المطاولة) ، من إن أحس من نفسه بابتداء هوى، أو توجس من استحسانه ميلا إلى بعض الصور، استعمل الهجر وترك الإلمام ، لئلا يزيد ما يجد فيخرج الأمر عن يده ، ويحال بين العير والنزوان "[140]

" ولقد ضمني المبيت ليلة في بعض الأزمان عند امرأة من بعض معارفي مشهورة بالصلاح والخير والحزم، ومعها جارية من بعض قراباتها من اللاتي ضمتها معي النشأة في

---

[138] من لا يحب إلا مع المطاولة من كتاب طوق الحمامة

[139] باب الضنى (طوق الحمامة)

[140] باب من لا يحب إلا مع المطاولة

الصبا، ثم غبت عنها أعواما كثيرة ، وكنت تركتها حين أعصرت ، ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وانساب، .... وكانت من أهل بيت صباحة .... فبت عندها ثلاث ليال متوالية ، ولم تحجب عني على جاري العادة في التربية ، فلعمري ! لقد كاد قلبي أن يصبو ويثوب إليه مرفوض الهوى ويعاوده منسي ، الغزل ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار خوفا على لبي أن يزدهيه الاستحسان ، ولقد كانت – هي وجميع أهلها – ممن لا تتعدى الأطماع إليهن، ولكن الشيطان غير مأمول الفوائل " [141]

وقد نخرج مما سبق إلا أن ابن حزم مضطرب في هذه المسألة وإذا ركزنا قليلا قد نرجع السبب في ذلك إلى عدم عنايته بتحرير المسائل العلمية بالنظر إلى توافقها مع الجانب العلمي.

فالحب قد يكون اضطراريا وقد يكون اختياريا فهذه النقطة بالذات تحتاج إلى تحليل وتفصيل.

أما الاضطرار فأن يكون من نظرة فجأة ، فلا يلام من نظر نظرة فجأة ثم صرف بصره وقد تمكن العشق من قلبه بغير اختياره، على أن عليه مدافعته وصرفه عن قلبه بضده"[142]

أو أن يكون نتيجة أسباب اختيارية ، فإن كانت مشروعة كنظرة إلى من يريد خطبته أو من اتصل بها بطريق مشروعة من زواج أو نحوه، فهذا لا يذم ولا يلام صاحبه، كما وقع في قصة مغيث بعد أن فارق زوجه بريرة ، فجعل يطوف خلفها ، يبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم– لعباس: (يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثا) .

فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – " لو راجعته" قالت : يا رسول الله تأمرني

قال : " إنما أنا أشفع" قالت: " لا حاجة لي فيه "[143]

---

[141] باب قبح المعصية (طوق الحمامة)

[142] روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن القيم الجوزية الحنبلي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415هـ ، ص 106

وإنما يذم من ارتكب أسبابا ومقدمات اختيارية داخلة تحت التكليف مما لم يأذن الشارع به، ولا يعذر بدخوله – بتلك الأسباب– في حال الحب أو العشق الاضطراري الغالب عليه.

وقد ذهب ابن القيم إلى أن : " مبادئ العشق وأسبابه اختيارية داخلة تحت التكليف هكذا أطلق القول ، وقال : فإن النظر والتفكر والتعرض للمحبة أمر اختياري، فإذا أتى بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره"

ثم ذكر الحب من نظرة الفجأة ، وعده من الحب الاختياري الذي لا يلام صاحبه عليه، ويظهر لي أن هذه الصورة ينطبق عليها حكم الاضطرار ، والله أعلم.

---

[143] صحيح البخاري (5283)

المبحث الثاني

الأسس الأساسية للظاهرة عند ابن حزم

1- الأسس الأخلاقية للحب

2- الأساس السياسي لقضية الحب

1- الأسس الأخلاقية للحب:

ألح ابن حزم على دور الأخلاق في نجاح العلاقة الرابطة بين الأفراد فهي أساس وجودهم، ولا جود لمحبة صادقة بين الأب وابنه والجل وصديقه والمحب ومحبوبته ، إذا غابت الأخلاق عن هذه العلاقة وانهارت عرى الصداقة والمحبة ويفهم بالأخلاق جل الصفات الحسنة التي تشد الفرد إلى آخر.

والأخلاق الفاضلة أساس السعادة بين الطرفين ، وقد حث عليها الإسلام، وعالجها الفلاسفة، ولا يوجد شيء في الدنيا أفضل منها لدى المحبين، وأبرز ظاهرة خلقية هي الوفاء، فهي شيء مقدس تجعل الفرد أو المحب يطمئن ويثق في الآخر ، وهي صفة مميزة للإنسان ، ودليل قاطع على علو نسبه وشرف مكانته.

ويمكن إرجاع سبب إلحاح المؤلف على الوفاء ورفضه الخيانة، وإلحاحه على الأخلاق الفاضلة في كل علاقة حب إلى تكوينه الديني، وثقافته الفلسفية ، ومكانته الاجتماعية التي تأبى عليه الخروج عن الأخلاق السامية، من هنا رفض الغدر وألح على ضرورة معاقبة صاحبه في إطار معاملة السيئة بمثلها، ول غرابة في ذلك ، فقد نشأ صاحبنا في أسرة كريمة الحسب والنسب ، وثقف من أحضانها ثقافة عصره.

(لقد أشرنا إلى هذا الجانب في الفصل الأول)

من هنا يرى ابن حزم أن التمسك بالوفاء أمر مهم، لا ينبغي أن ينتهي بانتهاء العلاقة ، ولو وقع الخصام، ولا ينبغي أن نضرب صفحا عن الماضي مما يدل على أصل ابن حزم الطيب، واهتمامه الكبير بالعلاقات الإنسانية الصادقة ومن أمثلة التزامه بقوله الخلقي ما يلي :" وكان لي مرة صديق ففسدت نيته بعد وكيد مودة لا يكفر بمثلها، وكان علم كل واحد منا سر صاحبه وسقطت المئونة، فلما تغير على أفشى كل ما اطلع لي عليه مما كنت اطلعت منه على أضعافه، ثم اتصل به أن قوله في قد بلغني ، فجزع لذلك وخشي أن أقارضه على قبيح فعلته وبلغني ذلك فكتبت إليه شعرا أؤنسه فيه ، وأعلمه أني لا أقارضه" [144]

[144] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 110

ويقابل الوفاء الغدر المرفوض دينا وشرعا ، إذ كان للمحبوب رسول إلى محبوبه يبلغه الخبر فإننا نجد أن هذا الرسول يحاول التفرد بالمحبوب والاستئثار به بعد أن يقوم بتشويه صورة المحبوب لديه.

قد سادت هذه الأخلاق الفاسدة غي عصر ابن حزم بدليل:

أقمت سفيرا قاصدا في مطـــالبي وثقت به جهلا فضرب بيننـــــــا

وحـل عـرى ودي وأثـــبـــت وده وأبعد عني كل ما كان ممكنـــــا

فصرت شهيدا بعد ما كنت مشهدا وأصبحت ضيفا بعدما كان ضيفنا "[145]

وتبقى الأخلاق المتحدث عنها من قبل ابن حزم ذات جذور اجتماعية لأن : ((ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها[146]))

ومع ذلك فإن بعض ذوي الأصول الطيبة قد تنتابهم لحظات ضعف فيتسلقون وراء عدة أطماع مالية أو مناصب سياسية أو غير ذلك.

أكد ابن حزم على مسألة القصاص في هذا الجانب مع علمه بأن العديد من مفكري عصره يرفضون هذه الفكرة السائدة في بيئة الأندلس القائمة على تعدد عرقي هام بالأندلس

وهكذا لعبت التربية الأسرية والمكانة الاجتماعية دورا كبيرا في تمسك خاصة وعامة الناس بالمبدأ الميكيافيلي " الغاية تبرر الوسيلة"

وأخيرا وجدنا ابن حزم صريحا وواضحا وعميقا في موضوع الحب الظاهري والشرعي ، وواضعا ومصلحا اجتماعيا، ورجل دين وفكر وأخلاق في معالجته لبعض العلاقات العاطفية الشاذة.

---

[145] نفسه ، ص 115

[146] سورة ابراهيم ، الآية 25

2- الأساس السياسي لقضية الحب:

إذا كان الفرد ابن بيئته يؤثر فيها ويتأثر بها، فإن الأحداث السياسية التي عرفها عصر ابن حزم ، قامت بدور كبير في تشكيل نظرته لهذه القضية .

كونه تعرض للاعتقال والترحيل قلل من إمكانية التواصل، فاتخذ الماضي الجميل عزاء الحاضر المضطرب والمستقبل المجهول، وقد ربط ابن حزم في العديد من مواقفه لظاهرة الحب بين المؤثرات السياسية وظاهرة التغير والتحول لدى المحبوب .

قد عمل جاهدا لماضي الدولة العامرية المزدهرة، اجتماعيا وثقافيا وسياسيا، حيث عم الأمن والاطمئنان فيها، وكثرت العلاقات العاطفية بين الناس، لكن سرعان ما حدثت الاضطرابات السياسية والخوف والجوع وقد حدث من إمكانيات تطوير هذه العلاقة الإنسانية ، ويرجع سبب ذلك إلى حدوث الفتنة البربرية.

وكان ابن حزم نفسه من ضحايا هذه الفتنة حيث اضطر بسببها لفراق أهله وصديقه أبي عبد الله محمد بن يحي الذي يحدثنا عن علاقته به قائلا : " وكنا ألفين لا نفترق وخدنين لا يجري الماء بيننا إلا صفاء، إلى أن ألقت الفتنة جرانه وأرخت عزاليها ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة "[147]

ويشير ابن حزم إلى أن مسكن أبي عبد الله ، صاحبه كان في الجانب الشرقي ببلاط مغيث، ولكن ظروف الفتنة أرغمت ابن حزم على مغادرة قرطبة متوجها إلى " المرية " حيث مكث هناك زمنا غير قليل

[147] ابن حزم ، طوق الحمامة، ص 155

ومن هناك كان يتهادى النظم والنثر مع صديقه أبي عبد الله وآخر ما تلقى منه هذه الأبيات ضمن رسالة موجهة إليه:

ليت شعري عن حبل ودك هل يمسي جديد لدي غير رثيث

وأرانـــي أرى محيـــاك يومـــا وأناجيك في بلاط مغيـــــث

فلو أن الديار ينهضها الشـوق أتاك البـلاط كالمستغيـــــث

ولو أن القلوب تستطيع سيـــرا سار قلبي إليك سير الحثيـــث

كن كما شئت لي فإني محب ليس لي غير ذكركم من حديث

لك عندي وإن تناسيت عهد في صميم الفؤاد غير نكيـــث[148]

وفي أثناء إقامته بمدينة " المرية " تعرض وصديقه للاعتقال من قبل صاحبها " خيران" الذي غربهما بمهمة الحنين للدولة الأموية وهكذا يكشف لنا تقلب الأحوال وتحول الصداقة إلى كره بسبب فعل الوشاه، مما يدل على أن موضوع الحب حاضر بثقله في هذه المواقف السياسية ، ويتأسف ان حزم على موقف الذين يسايرون آراء الوشاه في موضوع الحب.

وإذا كانت الرسائل ، والكتب من الوسائل والأدوات التي تربط بين الطرفين المتحابين، فإن حضورها في الحياة السياسية كان كبيرا، وبلغ الكره والحقد من قبل هذين الطرفين لدرجة الإحراق والتمزيق ، والأمر بدفنها

وخلاصة القول ، إن الأوضاع الاجتماعية والظروف السياسية المتقلبة ، والمعايير الأخلاقية السائدة في عصر ابن حزم دورا كبيرا في نظرته المتفردة، لظاهرة المحبة ، كعلاقة رابطة بين فرد وأسرته، وكاتب وصديقه ومحب ومحبوبته، وهو يحمل المسؤولية للمسببين التفرقة بين المحبين مسؤولية فشل العلاقات الإنسانية ، واضطرابها في عصره، لدرجة أن أصبح الأخ لا يثق في أخيه، والصديق يخون

---

148 ابن حزم ، نفس المرجع ، ص 155

صديقه ويغدر به، وأصبح كل واحد يهتم بنفسه، ويحرس على مصالحه الشخصية، ويهاب من مكائد الآخرين....

هكذا تحولت العلاقات الإنسانية إلى نوع من الاضطراب والفوضى في عصر ابن حزم بسبب الاضطراب السياسي الذي عرفه الأندلس آنذاك.

المبحث الثالث:

الركائز الفلسفية للرسالة

1- المكون الفلسفي

2- منبع الجمال عند ابن حزم

3- ابن حزم وعلم النفس

(المدرسة التحليلية)

إن الواقع الاجتماعي والحالة النفسية للفيلسوف أو الكاتب لهما دور كبير في عملية التفكير ، كما أن البعد الثقافي في مختلف في وجوهه الديني والتاريخي والأدبي وخاص الفلسفي لا يقل عنهما أهمية والأهم أن ابن حزم كان عالما مشاركا في مجال الفلسفة من خلال آراء ابن حزم الفقهية أي معالجته لمسألة الحب من منظور ديني ، واستعماله الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وذكر بعض سير السلف الصالح من هذا سؤال يطرح نفسه عن مذهب ابن حزم هل هو مالكي المذهب؟ أم شيعي المنزع ؟ أم ظاهري التوجيه؟ مع الأخذ بعين الاعتبار أن ابن حزم يشير من حين لآخر إلى بعض الخلافات الحاصلة حول بعض القضايا الدينية .

إن الإجابة على مثل هذا السؤال هي مرتبطة بالكشف عن المكون الفلسفي لفكرة وهذا ما سنتطرق له في المطلب .

1- المكون الفلسفي:

تحدث ابن حزم عن ماهية الحب محاولا إيجاد إجابة فلسفية إلى جانب الإجابة الشرعية والنفسية المقدمة، كما أنه أقر منذ البداية معالجته لهذا الموضوع بأنه صعب تحديد والتحليل وأن بداية هزل ونهاية جد ولا يحصل إلا بالمعانات.

لقد عالج ابن حزم موضوع الحب معتمدا على الاستقراء والتتبع مستعينا بما وصل إليه من فلسفة اليونان ومرتكزا على ثقافة الإسلامية " فهو يعتمد من أصل التعريف على الفلسفة ثم يزكيه بنصوص من القرآن الكريم" [149]

- وقد سبقت الإشارة إلى ذلك –

ففي ثنايا بحثنا وجنا هناك إشارة إلى أثر الفلسفة اليونانية على الفكر الإسلامية (خاصة أراء أرسطو وأفلاطون)

[149] د. أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره وآراؤه وفقهه، ص 187

فهو يتناول الموضوع من وجهتين: واقعية وميتافيزيقية فهو يبدأ القضية من قضايا الحب، وينبع الرأي عنده عن الواقع بعينه أو تجربته الحسية الذاتية، أو تجربة الغير الواثق من صحتها وصدقها ثم ينتهي بالقضية إلى نطاق تجريدي ميتافيزيقي تنفصل فيه أو تكاد عن منبعها الأصل : .... وقد يحدث العكس أي يبدأ القصة من عالمها الأفلاطوني المثالي ، وينتهي بها إلى أصلتها الواقعية "[150]

لقد عاد ابن حزم لرأي محمد بن داود وإلى أهل الفلسفة هذا ما تبين لنا المعالجة الفلسفية لهذا الموضوع مع الأخذ بعين الاعتبار بأنهم يون الإنسان مقسم إلى جسد وروح، ، وبأن الأرواح درجات.

والاختلاف والتمازج بين المخلوقات ناتج عن الاتصال والانفصال فكل شكل " يستدعي شكله والمثل إلى مثله ساكن، والمجانسة عمل محسوس، وتأثير المشاهد والتنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد ، والنزاع فيها تشابه موجود فيما بيننا، فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي الخفيف، وجوهرها الجوهر الصاعد المعتدل وسنخها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار "[151]

فإذا كان أصل الإنسان واحد بديل قوله عز وجل ((هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها)) [152]

والمحبة عند ابن حزم في سلم تصاعدي تبتدئ بمحبة الأهل والأقارب، ومحبة المعرفة والبر لكي تسمو عن طريق طهارة الروح، والجسد إلى محبة الخالق كغاية سامية تتوخاها كل محبة مطلقة، كما أن المحبة تنزل في سلم تنازلي لكي تعانق عالم الطمع والجاه والملذات والشهوات ، وتبقى محبة العشق كظاهرة فلسفية مفسرة لديه لكونها اتصال النفوس، فإذا كانت : " هذه الأجناس المذكورة من شغل والخبل

---

[150] حسن مروة ، طوق الحمامة لابن حزم، مجلة الطريق" العدد الثامن ، أيلول 1944، ص 23"

[151] ابن حزم ، طوق الحمامة، ص 21

[152] سورة الأعراف ، الآية 189

والوسواس وتبدل الغرائز المركبة واستحالة السجايا المطبوعة، والنحول والزفير وسائر دلائل الشجا ما يعرض في العشق الفصح، بذلك أنه استحسان روحاني وامتزاج نفساني"[153]

والعشق الصحيح كأسمى درجات المحبة البشرية لا ينقضي إلا بالموت " وكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها، زائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها، متأكدة بدونها فاترة ببعدها حاشا محبة العشق، الصحيح الممكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت"[154]

ونلاحظ أن ابن حزم كان ذكيا جدا حين نزل بموضوع المحبة من الطابع الفلسفي ليجابه واقعة خاصة بعض التساؤلات من عاصره .... وإذا بقينا في ثنايا هذا الجانب نجد أنفسنا مجبرين على سؤال ابن حزم إلى أي مدى تصل صحة اتصال النفوس كتحديد لماهية الحب؟

هنا نجد تأثر ابن حزم بأفلاطون الذي يرى بأن وجود الإنسان في الأرض هو مجرد ظل لأجساد في عالم المثل، لأن ابن حزم يرى بأن المحبّ يتوخى الاتصال بمن يحب ، لكن ارتباطه بالشهوات والملذات الجسدية في علاقتها هي في الأصل ليست سوى طائع لأهل الأرض لا تجعل من يحب يسمو بالمحبة إلى عالمها الروحاني.

وما يضفي التميز هذه الشخصية العبقرية – ابن حزم – أنه طبع آراءه بطابع إسلامي يعكس انتماءه ولم يأخذ بالآراء الأفلاطونية كما هي ، بل غربلها حسب ظروف عصره ، وتكوينه الثقافي الشرعي مدعما ذلك بأحاديث نبوية – سبق ذكر بعضها–

ولم يكتف صاحبنا بآراء أفلاطون بقدر ما عدا إلى بعض الكتب الدينية وأهمها التوراة الذي ورد فيه أن " يعقوب عليه السلام أيام رعيه غنما لابن خاله مهرا لبنته شارطه على المشاركة في أنسالها، فكل بهيم ليعقوب وكل أغر للابان فكان يعقول عليه السلام يعمد إلى قضبان الشجر يسل نصفا ويترك نصفا

---

[153] 5 ابن حزم ، طوق الحمامة، ص 22

[154]

ويترك نصفا بحاله ثم يلقى الجمع في الماء الذي ترده العنم ، ويعتمد إرسال الطروقة في ذلك الوقت فلا تلد إلا نصفين، نصفا بهما ونصفا غرا" [155]

ويمكننا إرجاع ذا التصور الثنائي للحب إلى الوجود الثنائي للإنسان نفسه المكون من جسد وروح.

لأن كتاب " طوق الحمامة" كان من بين أهم وأعظم أسباب كتابته هو عصر ابن حزم.... خاصة الجانب الفكري فلم يتحاشى ابن حزم علماء الكلام في عصره والنقاش القائم بينهم عائدا بذلك إلى النظام وغيره، بهدف الانتصار لأحدهما (الظاهرة أو الباطن) فعلماء الكلام آنذاك يخاطبون المرء في الظاهر خطاب المعقول الباطن " وكثيرا ما يصرف شعراء أهل الكلام، هذا المعنى في أشعارهم فيخاطبون المرئي في الظاهر خطاب المعقول الباطن ، وهو المستفيض في شعر النظام إبراهيم بن يسار وغيره من المتكلمين"[156]

فكان ردا ابن حزم على ذلك من أجل تقويم مسارهم :

أمن عـــالم الأمـــلاك أنت أم انســـي ابن لي أزري بتمييـــــزي العي

أرى هيئـــــة إنسيـــــة غيـــر أنـــه إذا أعمل التفكير فالمجرم علوي

تبـــارك من ســـوى مـــذاهب خلقـــه على أنك النور الأنيق الطبيعـي

ولا شك عنـــدي أنك الـــروح ســـاقه إلينا مثال في النفوس اتصالـي

عدمنـــا دليـــلا في حدوثـك شاهـــدا نقيس عليـــــه غير أنك مرئـــي

ولو لا وقوع العين في الكون لم نقل سوى أنك العقل الرفيع الحقيقي[157]

---

[155] ابن حزم ، طوق الحمامة، ص 24

[156] نفسه، ص 24-25

[157] نفسه، ص 25

وإذا نظرنا علة الأشياء ، وإيمانا منا بأن لكل شيء سبب وعلة تفسره وتبرره، والحب ضمن هذه الأشياء فهذا الأخير بحاجة إلى أسباب وهذا ما يؤكده ابن حزم بنفسه " ولابد لكل حب من سبب يكون له أصلا" [158]

.... من كل ما سبق ذكره نلاحظ تميز ابن حزم عن فقهاء عصره الذين كانوا معادين لمختلف العلوم خاصة الفلسفة مرددين " من تمنطق تزندق"

2- منبع الجمال عند ابن حزم :

منبع الجمال عند ابن حزم نفسي وجداني روحي حيث يقول :" إن الذي أفرغ ذهنه في هوس من لم ير، لابد له له إذ يخلو بفكره، أن يحتل لنفسه صورة يتوهمها ، وعينا يقيمها نصب ضميره ، ولا يتمثل في هاجسه غيرها، قد مال يوهمه نحوها "[159]

لقد جمع ابن حزم في نظرته الجمالية بين المحسوس والمدرك فمثلا حين يتعرض لماهية الحب سر الاتصال والانفصال بين النفوس المعاصرة المقسومة في عالمها العلوي يستند إلى ظاهرة من الظاهرات الواقعية الديالكتيكية في الحياة والطبيعة فهو يتحدث عن التباين في المخلوقات ويشير إلى تنافر الأضداد وموافقة الأنداد ، بل يشير إلى التنازع حتى بين المتشابهات ذاتها والأضداد أنداد والأشياء، إذا أفرطت في غايات تضادها، ووقعت في انتهاء حدود اختلافها ، تشابهت فهذا الثلج إذا أومن حبسه في اليد فعل النار "[160]

والمتتبع لحياة ابن حزم التي تطرقنا لها سابقا ، بداية من تأثره بالفلسفة اليونانية ، وأثر المرأة في حياته – التربية الأولى التي تلقاها في صغره – بالإضافة إلى الحياة المترفة التي عاشها منذ صباه

---

158 نفسه ، ص 36

159 ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 37

160 حسين مروة ، طوق الحمامة ، مجلة الطريق، العدد الثامن ، أيلول 1964 ، ص 26 (نقلا عن فاروق سعد ، المرجع ، ص 41)

عكس ذلك النظرة الواقعية لديه كل ذلك أثر على نظرته الجمالية، فميز في الجمال على أنه درجالت فرأى في الصباحة أنواع (الحلاوة ، القوام ، الروعة والحسن)

"الحلاوة : دقة المحاسن ولطف الحركات، وخفة الإشارة وقبول النفس لأعراض الصورة، وإن لم تكن هناك صفات ظاهرة، والقوام : جمال كل صفة على حدتها ورب جميل الصفات على انفراد كل صفة منها، بارد الطلعة غير مليح ولا حسن ولا رائع ولا حلو، و الروعة : بهاء الأعضاء الظاهرة (مع جمال فيها) وهي أيضا الفراهة والعتق.

والحسن : وهو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر به غيره ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه ، وهو برد مكسو على الوجه وإشراق يستميل القلوب نحوه، فتجمع الآراء على استحسانه وقبله "[161]

"هكذا يبدو كيف أخذ أهل الفكر الإسلامي بنزعة الشك كضرورة لفحص المعرفة وتمحيصها ولم تختلف هذه الظاهرة حتى لدى أولئك المتشددين في التمسك بالنص كالظاهرة " [162]

ومن تحليل هذا نجد أن ابن حزم كان ظاهريا حتى في الجمال لجرأته في تناول موضوع الحب.

ج- ابن حزم وعلم النفس (المدرسة التحليلية):

خرج ابن حزم بنظريات مهمة أثري تحليله وتقويمه لقضايا المجتمع الذي عايشه سواء الأخلاقية أو النفسية هذه النظريات تعتبر بديات لعلم النفس الحديث مثل نظرية طرد الهم ونظرية الطمع.

يقول د. فاروق سعد: " والتثبيت الذي فسرته مدرسة التحليل النفس على أنه ارتباط الإنسان في مرحلة مبكرة من مراحل نشأته بتجربة معينة أو موضوع معين ارتباطا وثيقا بحيث يدوم هذا الارتباط حتى

---

[161] د. إحسان عباس، رسالة في مداواة النفوس، فصل في أنواع صباحة الصور، ص 375

[162] د. طيبي الميلود ، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية ، العدد العاشر

بعد انتقاله إلى مرحلة النضج التقني أو البلوغ العاطفي نجده معروضا لدي ابن حزم في طوق الحمامة حيث كتب " أعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة إلى القصر ، فنا أجد طويلة بعد هذا .... دعني أخبرك أني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر ، فما استحسنت من ذلك سوداء الشعر ولو على صورة الحسن نفسه".[163]

هذا ونجد لبعض أفكاره أثر لما رددته مدرسة التحليل النفسي في القرن العشرين من أن كل حب سخفي وراءه كراهة في اللاشعور فهو يرى أنه إذا تأكدت المحبة المحبين تأكدا شديدا كثر تضادها في القول تعمدا وخروج بعضها على بعض في كل يسير من الأمور وتتبع كل منها لغلطة تقع من صاحبه وتأويلها على عير معناها ويقول أنه يعلم من كان أحسن الناس ظنا وأرحبهم صدرا ثم لا يتحمل ممن يحب شيئا ولا يقع له معه أية مخالفة حتى يبدي من سوء الظن فنون وترى المحب إذا لم يثق بنقاء طوية محبوبه له كثير التحفظ مما لم يكن يتحفظ منه فبل ذلك"[164]

من هنا نجد ونستنتج أن في مسألة تحليل الوجدان هناك نوع من الربط بين أراء ابن حزم وما وصلت إليه المدرسة النفسية.

---

[163] فاروق سعد ، المرجع ، ص 39

[164] نفسه ، ص 40 (نقلا عن د.يوسف الشاروني، دراسات في الحب، كتاب الهلال 1969، ص 56)

الخـــاتمة

الخاتمة:

ومن خلال دراستنا البسيطة والمتواضعة للموضوع ، نرى اعتماد صاحبنا على نوع من التقنية في تمريري بعض أرائه الفلسفية حيث يرتد – في بعض الأحيان– بذهن القارئ نحو التراث الإسلامي والإنساني عموما، مما خلق صعوبة كبيرة في تتبع الظاهرة التي يعالجها قلمه من بداية تشكلها إلى أن يقدمها للقارئ، كما كان يدعم بعض الآراء بتصوراته دينية مستمدة من القرآن والسنة النبوية وبعض الأقوال المأثورة عن العرب القدامى ، فكان عملنا تقني فيه نوع من التحقيق بالدراسة التاريخية المتتبعة لكل ظاهرة وردت في الرسالة وربطها بذاتية ابن حزم، خاصة بعد الكشف عن جزئياتها ماضية من طرفه.

اكتسب ابن حزم تجربة شخصية في الحب، متجاوزا بذلك ذاته إلى الآخرين ، فتتبع هذا الموضوع بالدراسة والتحليل .... نستخلص منها مهارته في التحليل النفسي وعمق عرضه الفلسفي ، وتميز رسالته في موضوع الحب عن سابقيه ومعاصريه، ذلك أنه توفرت لديه الدقة في المنهج والتسلسل في الأفكار ورقة الإحساس وعمق التحليل مستخدما التتبع الاستقرائي والتحليل الاستنباطي لظاهرة الحب كحالة نفسية وكخبرة حية معيشة وكأحداث تاريخية متوارثة.

عرض فلسفي عميق لصلات المحبين بالمحبوب مع ما يكتنفها من علاقات متشابكة ، متعرضة ومتداخلة

غلبت على الرسالة الانطباعية وربطت بمناسبات معينة حاولت تمرير تصورات إيديولوجية محددة على الرغم من الحضور الواضح للفكر الفلسفي .

تميز ابن حزم عن غيره بسلاسة في الأسلوب وسهولة في العبارات ونثر فني راق ذلك الحضور الشامخ للفكر وللنص ليكون وساما لما قفي عليه وأعقبه وليكون استرسالا لكتابه عربية تتوشح المعرفة جمالا وتأخذ بالجمال معرفة وفق ديناميكية تاريخية تذكر الغير بغيره وبمتغيراته التراثية باتصالها وانفصالها ، هنا نجد إمكانية الجسرنة بين الحالي والخالي من العصور.

ففكرة يتوثب المصدر والمرجع والترجمان مستمرا إلى ما بعد تاريخه كتابته راهنت على المعيش اليومي فألبسته إبداعا ، حياة أدبية وفكرية لا نفرق بينها .

تجربة حزمية جالت بنا بين التجليات الإبداعية والتحليلات الامتاعية إلى التصليات الإيقاعية ، عاطفة ترجمت بين النثر والشعر فكان سفير الفكر سفير الفكر إلى ما بعد الكتابة .... وعن الحكاية الحزمية عبرة فنخلنا منها ما يسعف في تشييد إضافة لافتة إلى ما نظر إليه ابن حزم في الجانب الفلسفي.

أردنا قدر المستطاع تذليل الصعاب التي اعترضت خوض غمار هذا البحث الشائك، فبقدر ما حفزتنا خصوبة الموضوع وغناه وتعدد محاوره والسير فيه بعيدا بقدر ما شكلت عائقا منهجيا أمامنا ولقلة المصادر اتخذت جانب السياحة المرجعية التي تؤذي البحث العلمي وتشتت أهدافه وتلغي التيار التأملي في خيمة ابن حزم فكان بحثنا هذا اقتصار على محاذاتها.

كان الهدف اختبار النص المصدري عوض الإلمام المرجعي ... لنعطي للبحث العلمي وسامته التأصيلية

نرجو في الأخير أن البحوث التي تلي بحثنا البسيط المتواضع هذا أن تعني بهذا الجانب للرفع من مستوى البحث الأكاديمي داخل الجامعة الجزائرية وإظهار الوجه المشرق للفكر العربي الإسلامي

هذا ما وفقني الله في إنجازه فإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وإني لا أبرؤها فإنها لأمارة بالسوء، والله الموفق لما فيه سداد المراد ولله الحمد.

فهـــرس

المصـــادر والمـراجع

فهرس المصادر والمراجع

1-المصادر:

1- القرآن الكريم

2- الحديث النبوي الشريف

3- ابن حزم ، طوق الحمامة ، تح : أحمد مكي ، طبعة دار الهلال الثانية القاهرة 1944

4- ابن حزم حزم ، طوق الحمامة ، تح: د. محمد يوسف الشيخ محمد وغريد يوسف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان

5- ابن حزم ، طوق الحمامة ، تح: عبد الرؤوف سعد

6- ابن حزم ، رسالة الرد على بن التغريلة

7- ابن القيم الجوزي الحنبلي ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية ، بيروت 1415هـ

8- ابن منظور ، لسان العرب

9- الجاحظ ، الحيوان

10- طه حسين ، ألوان

11- د. عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، دار العلم ، دمشق ، ط ك

12- د. ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، الجامعة الأمريكية ، الدار المتحدة للنشر، بيروت

13- يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث

2- المراجع باللغة العربية:

1- د. احسان عباس ، رسائل ابن حزم ، ج1

2- الذهبي ، سير الأعلام النبلاء، الجزء الثامن عشر

3- الطاهر أحمد مكي ، دراسات عن بن حزم وكتابه طوق الحمامة

4- زكريا إبراهيم، ابن حزم المفكر الظاهري الموسوعي

5- طه بن علي بوسرت ، المنهج الحديثي عند الإمام بن حزم الأندلسي، دار بن حزم ، ط1 ، (1422هـ - 2001م)

6- محمد أبو زهرة ، ابن حزم، حياته وعصره، آراءه وفقهه

7- عبد الحق التركماني، مختصر طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والآلاف ، دار بن حزم ، مركز البحوث الإسلامية ، ط1 (1423هـ-2003م) ، بيروت ، لبنان

8- د. عبد الكريم خليفة، ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه

9- عبد اللطيف شرارة ، ابن حزم رائد الفكر العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان

10- عبد الفتاح كيليطو ، الغائب

11- د. عمر فروخ ، ابن حزم الكبير

12- عنان ، دول الطوائف

13- عويس ، ابن حزم

14- فاروق سعد ، رسائل بن حزم

15- سعيد الأفغاني ، ابن حزم الأندلسي ورسالة في المفاضلة بين الصحابة

ج- المراجع باللغة الفرنسية :

1- NADA Tomihe , IBN HAZM épitre morale

2- LEON Berher le collier du pigeon ou de l'aoir, et des amants (taouq alhamama filulfa wa'allaf) Edition CARBONEL 1949

3- La colombe : hamam in encyclopédie de l'islam. Paris maisauneuse et larose ; 1971 ; TMI ; p p 1971-1972

د- المجلات :

حسين مروة ، طوق الحمامة لابن حزم ، مجلة الطريق " العدد الثامن ، أيلول 1944.

هـ- المذكرات :

1- حاجي امباركة، الظاهرة الجمالية (مقارنة بين كتابي إحياء علوم الدين للغزالي و طوق الحمامة لابن حزم) مذكرة ماجستير

2- محمد أحلوش أهامي، الترجمة الذاتية في الأدب الأندلسي من خلال أعمال بن حزم (1428هـ-2007م) مذكرة ماجستير

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	
الإهداء	
مقدمة	
الفصل الأول :عصر ابن حزم حياته وتأثيره	03
المبحث الأول :زمن ابن حزم	04
1- الجانب السياسي	05
2- الحياة الاقتصادية	07
ج -الحالة الاجتماعية والحركة العلمية والبيئية والثقافية	08
المبحث الثاني :حياته وشخصيته	11
1- مولدة ، اسمه، نسبه ونشأته	12
2- حياته (صفاته وأخلاقه وميزاجه ، نكبتان ، محنته)	15
ج -شيوخه وتلامذته	17
د -اضطهاد ونهاية	19
المبحث الثالث :آثاره وتأثيره	21
1- منزلته العلمية	22
2- أهم وأشهر مصدفاته (مؤلفاته)	24
الفصل الثاني :تجليات الرسالة	30
المبحث الأول :إحاطة بالرسالة	31
1- دواعي كتابة الرسالة	33
2- من سبق ابن حزم الموضوع الحب	35
ج -رأي بعض المستشرقين في الرسالة	36
المبحث الثاني :البنية الهيكلية للرسالة	38
1- دلالة العنوان	39
2- طريقة ابن حزم في التأليف (تقسيم وتبويب الرسالة)	43
ج -الشكل الفني داخل الرسالة)بين النثر والشعر(	46

الفصل الثالث :زبدة البعد الفلسفي داخل الرسالة	55
المبحث الأول :ماهية الحب	56
1- تعريف الحب لديه	57
2- أقسام الحب ودرجاته	58
ج –الحب بين الاختيار والاضطراب	59
المبحث الثاني :الأسس السياسية للظاهرة عند ابن حزم	62
1- الأسس الأخلاقية للحب	63
2- الأساس السياسي لقضية الحب	65
المبحث الثالث :الركائز الفلسفية للرسالة	67
1- المكون الفلسفي	68
2- منبع الجمال عند ابن حزم	71
ج –ابن حزم وعلم النفس)المدرسة التحليلية (	73
الخاتمة	74
فهرس المصادر والمراجع	
الفهرس	

ملخص

نخلص في دراستنا هذه اعتماد صاحبنا على نوع من التقنية في تمريري بعض أرائه الفلسفية حيث يرتد – في بعض الأحيان– بذهن القارئ نحو التراث الإسلامي والإنساني عموما، مما خلق صعوبة كبيرة في تتبع الظاهرة التي يعالجها قلمه من بداية تشكلها إلى أن يقدمها للقارئ، كما كان يدعم بعض الآراء بتصوراته دينية مستمدة من القرآن والسنة النبوية وبعض الأقوال المأثورة عن العرب القدامى ، فكان عملنا تقني فيه نوع من التحقيق بالدراسة التاريخية المتتبعة لكل ظاهرة وردت في الرسالة وربطها بذاتية ابن حزم، خاصة بعد الكشف عن جزئياتها ماضية من طرفه.

اكتسب ابن حزم تجربة شخصية في الحب، متجاوزا بذلك ذاته إلى الآخرين ، فتتبع هذا الموضوع بالدراسة والتحليل .... نستخلص منها مهارته في التحليل النفسي وعمق عرضه الفلسفي ، وتميز رسالته في موضوع الحب عن سابقيه ومعاصريه، ذلك أنه توفرت لديه الدقة في المنهج والتسلسل في الأفكار ورقة الإحساس وعمق التحليل مستخدما التتبع الاستقرائي والتحليل الاستنباطي لظاهرة الحب كحالة نفسية وكخبرة حية معيشة وكأحداث تاريخية متوارثة.

Summary

We conclude in this study that our friend relied on a kind of technique in passing on some of his philosophical opinions, as he reverts - at times - to the reader's mind towards the Islamic and human heritage in general, which created great difficulty in tracing the phenomenon that his pen treats from the beginning of its formation until he presents it to the reader, as it was He supports some opinions with his religious perceptions derived from the Qur'an and the Sunnah of the Prophet and some sayings about the ancient Arabs, so our technical work was a kind of investigation with the historical study that followed every phenomenon mentioned in the message and linked it to the personality of Ibn Hazm, especially after revealing its particles past from his side Ibn Hazm gained a personal experience in love, thus transcending himself to others, so he followed this topic with study and analysis.... From it we extracted his skill in psychological analysis and the depth of his philosophical presentation, and distinguished his message on the topic of love from his predecessors and contemporaries, because he had accuracy in the method and sequence. In the thoughts, the sensitivity paper and the depth of analysis, using inductive tracking and deductive analysis of the phenomenon of love as a psychological state, as a living experience of living, and as inherited historical events.

Résumé

Nous concluons dans cette étude que notre ami s'est appuyé sur une sorte de technique pour transmettre certaines de ses opinions philosophiques, puisqu'il revient - parfois - dans l'esprit du lecteur vers l'héritage islamique et humain en général, ce qui a créé de grandes difficultés pour retracer les phénomène que sa plume traite depuis le début de sa formation jusqu'à ce qu'il le présente au lecteur, tel qu'il était Il soutient certaines opinions avec ses perceptions religieuses dérivées du Coran et de la Sunna du Prophète et de certains dictons sur les anciens Arabes, ainsi notre travail technique était une sorte d'enquête avec l'étude historique qui suivait chaque phénomène mentionné dans le message et le reliait à la personnalité d'Ibn Hazm, surtout après avoir révélé ses particules passées de son côté.

Ibn Hazm a acquis une expérience personnelle dans l'amour, se transcendant ainsi aux autres, il a donc suivi ce sujet avec étude et analyse.... De là nous avons extrait sa compétence en analyse psychologique et la profondeur de sa présentation philosophique, et avons distingué son message sur le sujet de l'amour de ses prédécesseurs et contemporains, parce qu'il avait une précision dans la méthode et la séquence. Dans les pensées, le papier de sensibilité et la profondeur de l'analyse, en utilisant le suivi inductif et l'analyse déductive du phénomène de l'amour en tant qu'état psychologique, comme une expérience vivante de la vie, et comme des événements historiques hérités.

الحمد لله